وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

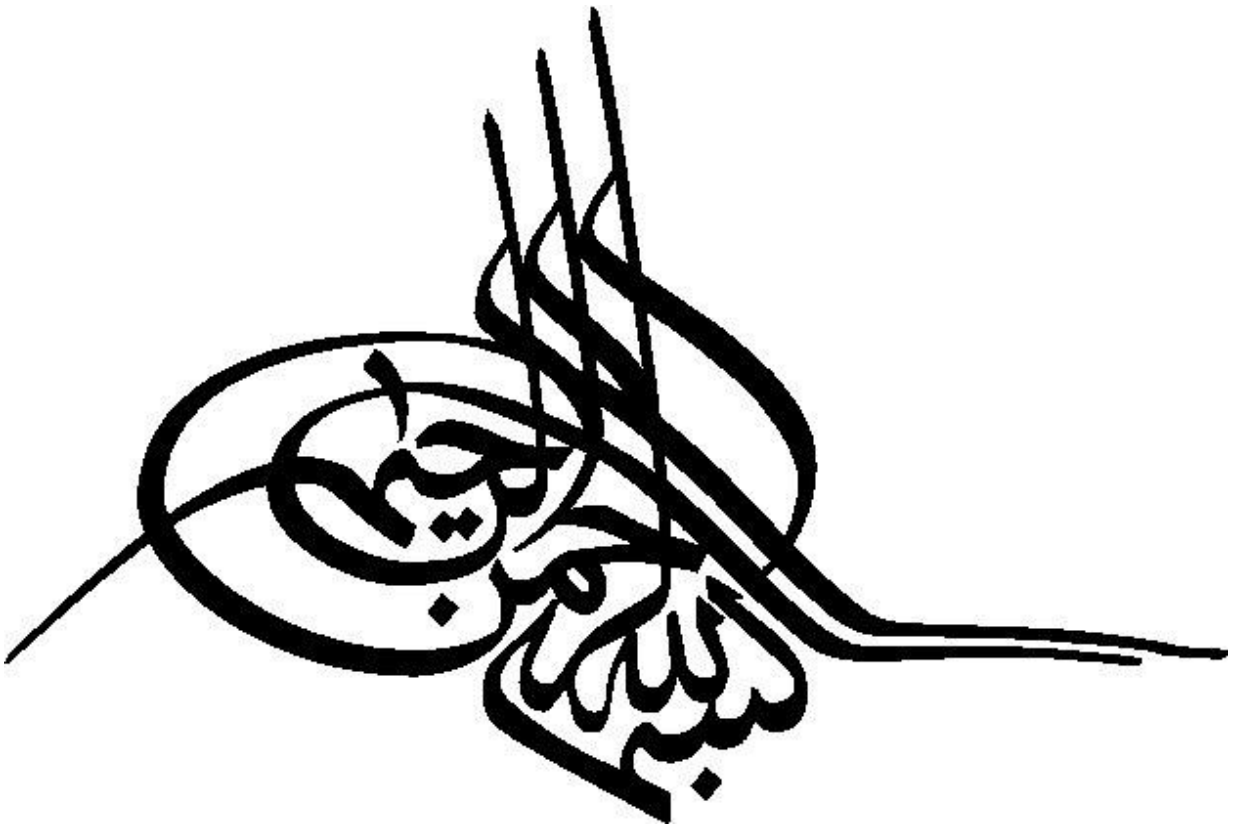
مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

مدخل إلى الأنثروبولوجيا

مجموعة من الدروس موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية

إعداد:
الدكتور مصعب جعفورة

السنة الجامعية: 2022 - 2023


بسم الله الرحمن الرحيم

- **الفئة المستهدفة:** طلبة السنة أولى جذع مشترك علوم اجتماعية
- **السداسي:** الأول
- **وحدة التعليم:** الأساسية
- **عنوان المقياس:** مدخل إلى الأنثروبولوجيا .
- **الرصيد:** 05
- **المعامل:** 02
- **الأهداف العامَّة:** عند الانتهاء من هذه المقياس سيكون الطالب قادرا على أن:

1. يُعرف علم الإنسان (الديموغرافيا) ويستخلص موضوع الدراسة في هذا العلم
2. يميز بين مفهوم الأنثروبولوجيا والمفاهيم المرتبطة
3. يثمن أهمية علم الأنثروبولوجيا ويستنتج أهدافه
4. يتعرف على تاريخ الفكر الأنثروبولوجي ويحدد بداية ونشأة هذا العلم
5. يحلل العلاقة بين الأنثروبولوجيا و غيرها من العلوم، وتعرف على أهم فروعها
6. يميز الفرق بين مختلف النظريات والاتجاهات الموجودة في الأنثروبولوجيا
7. يتعرف على بعض الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال.
8. يميز بين مناهج البحث والتقنيات المستخدمة في الأنثروبولوجيا.

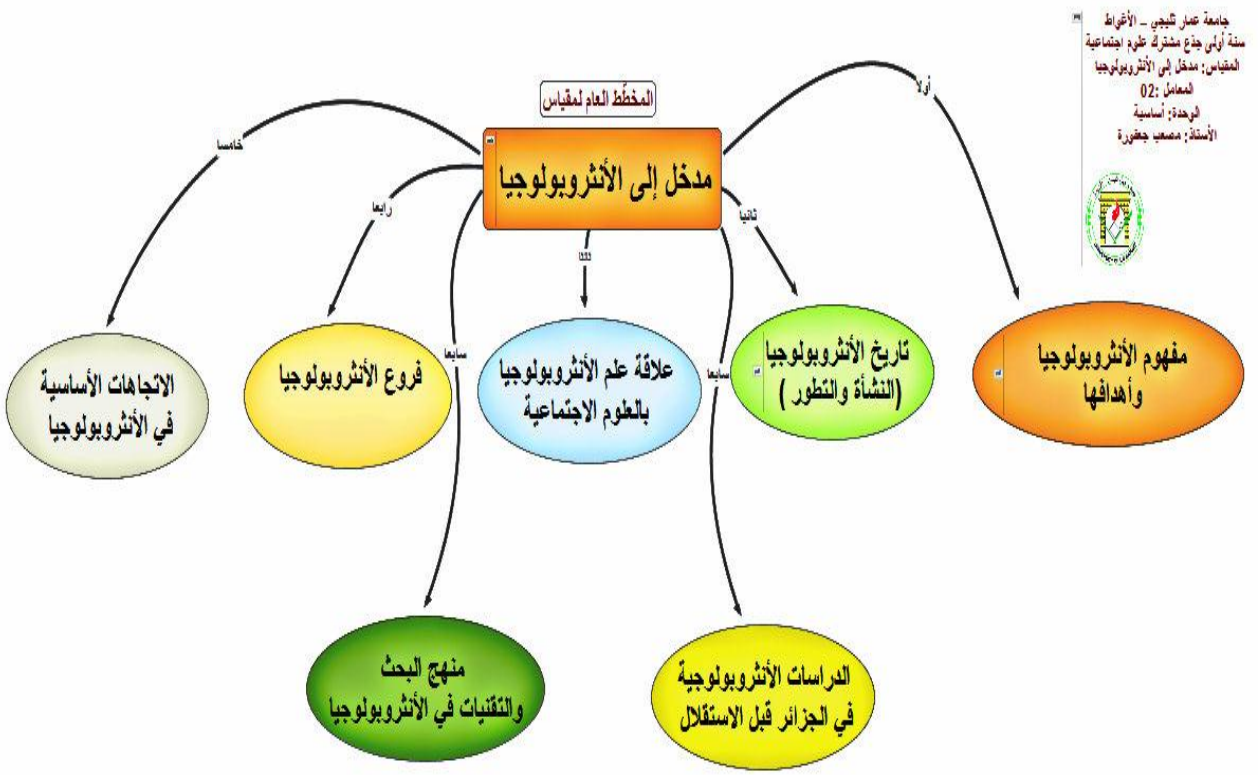
- **المعارف المسبقة المطلوبة :**

يتطلب فهم هذا المقياس معارف مسبقة ومتنوعة وذلك يرجع لتنوع المجالات والمواضيع التي تدرسها الأنثروبولوجيا، وقبل التعريج إلى هذا المقياس يجب على الطالب أن يكون قد استوعب المفاهيم الأساسية في مجال الأنثروبولوجيا قبل البدء في هذه الوحدة، لذا يجب على المتعلم أن يكون على دراية بالنقاط التالية:

- التاريخ
- تاريخ الأفكار
- الفلسفة
- التاريخ الثقافي
- ثقافة عامة

المخطَّط العام للمقياس:

- مفهوم الأنثروبولوجيا وأهدافها
- تاريخ الأنثروبولوجيا (النشأة والتطور)
- علاقة علم الأنثروبولوجيا بالعلوم الاجتماعية .
- فروع الأنثروبولوجيا .
- النظريات (الاتجاهات) الأساسية في علم الأنثروبولوجيا.
- الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال.
- منهج البحث والتقنيات في الأنثروبولوجيا.



المحتويات

	الصفحة
مقدمة	01
المحاضرة الأولى : ماهية الأنثروبولوجيا	4
أولا/ مفهوم الأنثروبولوجيا	06
ثانيا/ موضوع الأنثروبولوجيا	08
ثالثا/ المفاهيم المرتبطة بالأنثروبولوجيا	10
رابعا/ أهداف الأنثروبولوجيا	12
خامسا/ أهمية الأنثروبولوجيا	13
المحاضرة الثانية: تاريخ الأنثروبولوجيا (النشأة والتطور)	15
أولا/ الأنثروبولوجيا في العصر القديم	16
1. عند المصريين القدماء	17
2. عند الإغريق (اليونانيين القدماء)	17
3. عند الرومان	18
4. عند الصينيين القدماء	18
ثانيا/ الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى	19
1. العصور الوسطى في أوروبا	19
2. العصور الوسطى عند العرب	19
ثالثا/ الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية	22
1. الرحلة (أو الرحلات) الاستكشافية لكريستوفر كولومبس	23
2. دراسة الرحالة الإسباني جوزيه أكوستا	23
3. أعمال جان جاك روسو	24

4. أعمال دي مونتسكيو	24
5. الاتجاه السلالي العنصري	24
رابعا/ الأنثروبولوجيا في القرن العشرون	**25**
1. مرحلة التأسيس النظري	25
2. مرحلة الأعمال الميدانية	25
المحاضرة الثالثة: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى	27
أولا / علاقة الأنثروبولوجيا بالبيولوجيا	29
ثانيا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع	30
ثالثا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس	32
رابعا/ الأنثروبولوجيا والفلسفة	92
خامسا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاقتصاد	40
سادسا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم بالسياسة	41
سابعا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الآثار	42
ثامنا / علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ	43
تاسعا / علاقة الأنثروبولوجيا باللسانيات	44
عاشرا/ علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب	45
حادي عشر / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا	46
المحاضرة الرابعة: فروع الأنثروبولوجيا	47
أولا/ الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعيّة)	48
1. فرع الحفريات البشرية	51
2. فرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية	51
ثانيا/ الأنثروبولوجيا الثقافية	51
1. مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية	51
2. نشأة مفهوم الثقافة	53
3. مفهوم الثقافة	54
4. فروع الأنثروبولوجيا الثقافية	56
ثالثا/ الأنثروبولوجيا الاجتماعية	60

المحاضرة الخامسة: الاتجاهات الأساسية في الأنثروبولوجيا	63
أولا/ الاتجاه التطوري	65
1. لويس مورغان	65
2. جيمس فريزر	67
3. إدوارد تايلر	67
ثالثا/ الاتجاه الانتشاري	68
1. المدرسة الأولى " أحادية المنشأ"	68
2. الفريق الثاني ‘‘تعددية المنشأ"	69
3. المدرسة الثالثة " الجمع بين المدرستين"	69
ثالثا/ الاتجاه الوظيفي	71
1. الوظيفية عند مالينوفسكي	72
2. الوظيفية عند راد كليف براون	73
المحاضرة السادسة: الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال	76
أولا/ الأنثروبولوجيا والاستعمار	78
ثانيا/ الإنسان الجزائري حسب الأنثروبولوجيا الاستعمارية الفرنسية	80
1. تيار العسكريين	81
2. تيار الرحالة والهواة والإداريين	82
3. تيار الأكاديميين الكولون	82
ثالثا/ العنصرية العرقية في الأنثروبولوجيا الكولونيالية	84
رابعا/ الاستعمار بين تبرير الغزو وإذلال العلم	84
المحاضرة السابعة: مناهج البحث والتقنيات المستخدمة في الأنثروبولوجيا	86
أولا/ نبذة تاريخية عن البحث الميداني	88
ثانيا/ مفهوم المناهج وتطورها	89
1. مفهوم المنهج	89
2. تطور المنهج	90
ثالثا/ مناهج البحث الأنثروبولوجي	91
1. المنهج الوصفي	91

2. المنهج المقارن	93
3. المنهج التاريخي	96
4. المنهج البنائي الوظيفي	97
رابعا / تقنيات البحث الميداني	98
1. الملاحظة	98
2. الملاحظة بالمشاركة	100
3. المقابلة	101
4. التسجيل والتصوير التقني	102
5. الاخباريون	103
6. الاختبارات النفسية	104
خاتمة	105
قائمة المراجع	108

مقدمة

مقدمة

إن هذا الكائن الفريد الذي اسمه الإنسان كان دائما ولا يزال موضع التأمل والدراسة من قبل كثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء، فمنذ قديم الزمان لاحظ الإنسان بصفة عامة الفروق القائمة بين شعوب الجنس البشري واهتم بمعرفة الطبيعة الانسانية وتفسير الاختلافات في الملامح الجسمية ولون البشرة والعادات والتقاليد والديانات والفنون وغير ذلك من مظاهر الحياة، وفي إطار هذا الاهتمام والتساؤل تطورت الدراسات خلال العصور وتبلورت بنشأة فرع جديد من فروع المعرفة اصطلح على تسميته الأنثروبولوجيا Anthropology .

والأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا، إنها المعرفة المنظمة عن الإنسان، وهو الدراسة العلمية للإنسان في كل زمان ومكان، ولا يتقيد بفترات الزمن أو بحواجز المكان، ولكنه يتقيد ببحث موضوع واحد لا يخرج عنه الإنسان.

ويجمع الباحثون في الأنثروبولوجيا على اعتبار الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) من العلوم الاجتماعية الحديثة مقارنة بالعلوم الأخرى كعلم الاجتماع ، و علم النفس و علم الاقتصاد و السياسة ... هذا التأخر في ظهوره كعلم مستقل ذا صيغة أكاديمية رسمية، لا يؤخذ مأخذ القصور و النقص و عدم النضج في نظرياته و مناهجه ، بل ينفرد هذا العلم بخاصية مميزة كونه الوحيد الذي له خاصية الشمولية و الكلية، و تستمد هذا الفيض الهائل من المعرفة – من النظريات و المناهج لتلك العلوم السباقة في الظهور ، سواء أكانت علوما اجتماعية أو إنسانية أو طبيعية ،لأن الانثروبولوجيا علما شاسعا، شساعة المفهوم الذي يعد محورا رئيسيا لهذا التخصص ، بل هو التخصص نفسه ، ألا و هو" الثقافة " هناك من اعتبر الانثروبولوجيا هي "علم ثقافة الشعوب" .

إن ما يميز علم الأنثروبولوجيا عن غيره من العلوم الاجتماعية والإنسانية ,أنه علم شامل يدرس الإنسان بشكل عام ، فهي تنقسم إلى أنثروبولوجيا طبيعية، تدرس الإنسان في طبيعته البيولوجية ، بحيث يهتم هذا الفرع بدراسة السمات الفيزيقية للإنسان، والأعراق، وأصل السلالات البشرية وتغير الأجناس، فتدرس الإنسان في نشأته الأولى وأهم المراحل التي مر بها في تطوره عبر الزمن إلى أن أصبح إنسانا بالصفات التي يعرف بها حاليا، وتدرس كذلك ملمح الإنسان الحالي ومقارنتها بالملمح الفيزيقية للإنسان القديم عن طريق دلائل الحفريات وبالتعاون مع تخصصات أخرى كعلم الآثار، وعلم التشريح، ....الخ أما القسم الثاني فيعرف

بالأنثروبولوجيا الثقافية فيعنى بدراسة الجوانب الاجتماعية والثقافية للإنسان ونظرا لشاسعة هذا القسم هناك من الباحثين من يجعل الإطار الاجتماعي في الدراسات الأنثروبولوجية جزءا لا يتجزأ من الثقافة ويسمى هذا القسم بالأنثروبولوجيا الثقافية.

وسنحاول في الصفحات الموالية أن نقدم لمحة عن علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وهذا من خلال سلسلة من المحاضرات التي نأمل أن تكون مفيدة لطلبة السنة أولى جذع مشترك علوم اجتماعية في مقياس مدخل إلى الأنثروبولوجيا.

ففي **المحاضرة الأولى** نستهدف شرح ماهية الأنثروبولوجيا وهذا من خلال التطرق لمفهوم الأنثروبولوجيا وموضوعها، بالإضافة إلى محاولة التمييز بين الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم المرتبطة بها حتى لا يقع الطالب في التناقض أو الخلط بين هذه المفاهيم. كما سنسعى لتوضيح أهمية الأنثروبولوجيا بالإضافة إلى شرح الأهداف الرئيسية لهذا العلم.

و بالنسبة **للمحاضرة الثانية** نحاول فيها أن نستعرض أهم المراحل التاريخية التي مرت بها الأنثروبولوجيا في تاريخها، وذلك بداية من العصور القديمة عند المصريين القدماء والإغريق والرومان والصينين القدماء، مرورا بالعصور الوسطى بتسليط الضوء على الفكر الانثروبولوجي عن الأوربيين والعرب، وصولا إلى عصر النهضة الأوربية والقرن العشرين أين اتسع مفهوم الأنثروبولوجيا في معناها الحقيقي العليم المتخصص.

أما **المحاضرة الثالثة** المخصصة للحديث عن علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى، فسنحاول فيها شرح العلاقة الوطيدة بين علم الإنسان وباقي العلوم الأخرى سواء تلك التي تنتمي إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية أو التي تنتمي إلى حقل العلوم الطبيعية.

وبالنسبة **للمحاضرة الرابعة** فنتحدث فيها عن فروع الأنثروبولوجيا، وسنحاول التركيز على أهم تقسيمات علم الانسان كالأنثروبولوجيا الطبيعية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الثقافية.

وسنحاول في **المحاضرة الخامسة** التحدث عن أهم الاتجاهات أو التيارات النظرية الموجودة في الأنثروبولوجيا كالإتجاه التطوري و الانتشاري والاتجاه الوظيفي.

أما **المحاضرة السادسة** فهي مخصصة للحديث عن الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال، وسنحاول فيها التحدث عن علاقة الأنثروبولوجيا بالظاهرة الاستعمارية، بالإضافة إلى إعطاء لمحة عن الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي.

وبالنسبة **للمحاضرة السابعة** ففيها سنتكلم عن أهم المناهج المستخدمة في ميدان البحث الأنثروبولوجي، بالإضافة إلى تخصيص جانب للحديث عن أبرز التقنيات التي يعتمد عليها الباحث في جمعه للمادة الأنثروبولوجية.

المحاضرة الأولى

ماهية الأنثروبولوجيا

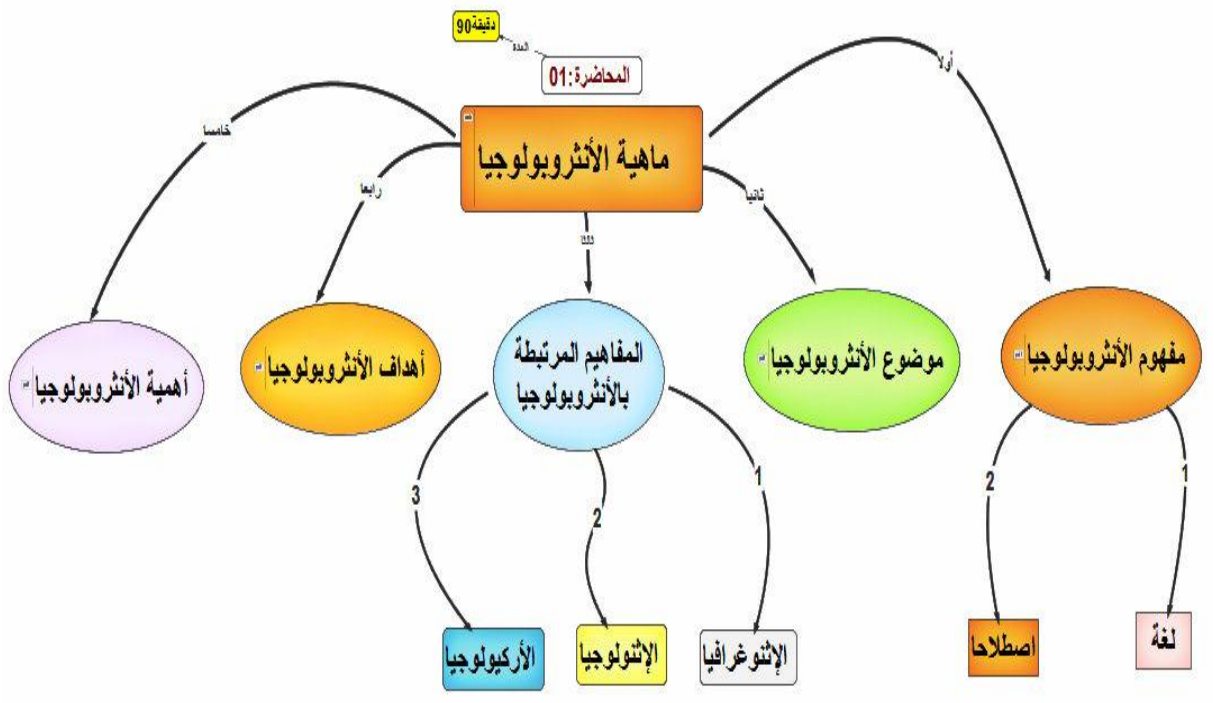
المحاضرة الأولى

ماهية الأنثروبولوجيا

تمهيد:

تكتسي عملية التحديد الدقيق للمفاهيم والإلمام بمقاصدها أهمية قصوى في مجال العلوم لاجتماعية، حيث تتعدد المفاهيم وتتداخل وتتناقض بعضها مع بعض حول القضية الواحدة، فالمصطلح في العلوم الاجتماعية حمال تفسيرات عدة، وهو لا ينجو من تأثيرات الايديولوجيا أو الذاتية، اللتين يضيفهما الباحث على رؤيته وتفسيره للمفاهيم المستعملة.

لهذا سنسعى في هذه المحاضرة التطرق لمفهوم الأنثروبولوجيا وموضوعها، بالإضافة إلى محاولة التمييز بين الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم المرتبطة بها حتى لا يقع الطالب في التناقض أو الخلط بين هذه المفاهيم. كما سنسعى لتوضيح أهمية الأنثروبولوجيا بالإضافة إلى شرح الأهداف الرئيسية لهذا العلم.



أولا/ مفهوم الأنثروبولوجيا:

في محاولة لاستدراج المعنى الحقيقي لمفهوم الأنثروبولوجيا وعلى ماذا انطوى لغرض التأسيس لرؤى واضحة تُشّكل الموضوع الأساس لحقل الأنثروبولوجيا وللتمدد في تربة العلوم بشتى صنوفها واكتساب الرسوخ، لذا لا يمنعنا ذلك من القول أن الأنثروبولوجيا كمفهوم وعلم قد أُثيرت حوله الكثير من وجهات النظر التي يعتريها اللبس والغموض، وانقسمت هذه الوجهات بين من لم تطرق مسامعها أصداء هذا العلم نهائيًا وبين من تخلط بينه وبين العلوم الطبيعية الأخرى، وبين من تعرفه ولكن بشكلٍ غير دقيق، إلا أن هناك من يملك أرضية واسعة حول هذا العلم ومتضمناته، لذلك فنحن هنا بحاجة إلى محاولة لكشف هذا اللبس والغموض ووضع الخطوط الرئيسة لهذا العلم، الذي ربما قد جاء متأخرًا نوعًا ما في الظهور مقارنًة بالعلوم الأخرى الطبيعية منها والإنسانية والاجتماعية. [1]

فما المقصود بالأنثروبولوجيا من ناحية المفهوم واشتقاقاته ؟

1. **لغة:** إن لفظة أنثروبولوجيا Anthropology، هي كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين: أنثروبوس Anthropos، ومعناه (الإنسان) ولوجوس Logos، ومعناه علم. وبذلك يصبح معنى الانثربولوجيا من حيث اللفظ علم الإنسان أي العلم الذي يدرس الإنسان.

والحقيقة أن ترجمة اسم العلم الأنثروبولوجي إلى اللغة العربية أثبتت عدم جدواها واتضح أنه غير علمي، لأنه لا يقدم تسمية كاشفة دالة، فهناك علوم أخرى كثيرة تدرس الإنسان كعلم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس والبيولوجيا الإنسانية... إلخ كل تلك العلوم وغيرها تدرس الإنسان، لهذا السبب العلمي آثر علماء الأنثروبولوجيا العرب الإبقاء على تسمية العلم كما هي في لغتها الأصلية، دون ترجمتها.[2]

2. **اصطلاحا:**

ورد في القواميس الفرنسية أنها:(شعبة العلوم التي تدرس الكائن الإنساني في كل أبعاده مرة واحدة.. الهيكلة والتاريخ الفيزيقي... وعلى المستوى الثقافي (اجتماع، دين، نفس، جغرافيا).

[1] – مازن مرسول محمد، **الأنثروبولوجيا .... نحو أناسة ممنهجة**، المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، مركز فاعلون، الجزائر، العدد الأول مارس 2015، ص 108.

[2] – محمد الجوهري وعلياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، القاهرة، 2008، 18.

وعرفها " إدوارد تايلر" بأنها: (الدراسة البيو ثقافية المقارنة للإنسان) وهي: (علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضارية) ونقصد هنا بدراسة الإنسان طبيعيا أي دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان وبين الكائنات الحية الاخرى من جهة، وأوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى.

كما تعرف بأنها : (العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وانساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة... ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددا، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل)[1]،

ويعرفها مصطفى تيلوين بأنها علم من العلوم الإنسانية الذي يهتم بكل جوانب الحياة الإنسانية. ونعرف أيضا بأنها " العلم الذي يدرس الإنسان من حيث تركيبه الجسمي وبنائه البدني والعقلي وصفاته الجسمية المختلفة، وعلاقته الاجتماعية مع الآخرين وتفاعله مع المجتمع والبيئة والثقافة السائدة فيها.[2]

ولقد ركز علم الأنثروبولوجيا في بدايته منذ القرن التاسع عشر الميلادي على دراسة الإنسان وأسلافه الأوائل وأصوله من أقدم فترات التاريخ، وما قبل التاريخ وفي كل بقاع العالم، وذلك من خلال الحفريات والآثار، ولهذا انصبت اهتماماته على دراسة المجتمعات البدائية، ويرى بعض الأنثروبولوجيون أن ما يميز هذا العلم عن العلوم الأخرى، كعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد، والسياسية والتاريخ، وعلم النفس والديموغرافيا، هو تركيزه على المجتمعات البشرية البدائية، غير أن هذا الرأي لم يعد مقبولا في الوقت الراهن، حيث توسع مجال الدراسة وشمل المجتمعات غير البدائية، كالقروية والبدو الرحل، والمجتمعات المتمدنية، كالمجتمع الأمريكي، والروسي، والصيني....، وشمل كذلك دراسة عمليات الشرائح والاندماج بين الحضارات...الخ، ومن هنا رأى الأنثروبولوجيون أن الزمان والمكان لا يقيدان الموضوعات التي تدخل في نطاق علم الانثروبولجيا، إذ يدرس الإنسان وأجداده وأصوله منذ أقدم العصور، وحتى الوقت الحاضر، ويدرس الإنسان في كل مكان، وهكذا لا يتقيد هذا العم بحدود الزمان والمكان، ولكنه يتقيد فقط بالإنسان كموضوع للدراسة. [3]

---

[1] عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004، ص 12.

[2] – سمير سعيد حجازي، **معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان المذاهب النقدية والأدبية**، مصر، دار الطلائع، ب ت، ص16.

[3] – علي المكاوي، **الانثروبولوجيا الاجتماعية**، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1990، ص16.

وعلى الرغم من قدم استخدامات هذا المصطلح في تاريخ المعرفة الإنسانية إلا أن استعماله بدأ فعلياً مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث ازداد الاهتمام به وبخاصة في الأوساط الثقافية الأ نجلو-ساكسونية (بريطانيا وأميركا)، وكان الاهتمام في تلك المرحلة قد انصب على الأنثروبولوجيا البيولوجية أو الفيزيقية، حيث كان الجسد محور اهتمام الدراسات الأنثروبولوجية آنذاك أي أن انحداراتها بدأت من العلوم التي اهتمت بجسد الإنسان من تشريح ومعرفة وظائف الأعضاء، وبعد ذلك تراكمت المعرفة الأنثروبولوجية لتفصح عن اشتقاقات فرعية تابعة للأنثروبولوجيا شملت كل ما يتعلق على الأغلب بالإنسان.[1]

فالأنثروبولوجيا بالتالي هي : (**العلم الذي يدرس الإنسان في شموليته من حيث هو إنسان بمختلف جوانبه الطبيعية (الفيزيقية) والاجتماعية والثقافية، فهو يدرس تطور وتركيبة الإنسان، أعرافه، عاداته، تقاليده، نظمه، وأشكال تفكيره.)**

ثانيا/ موضوع الأنثروبولوجيا:

أما من حيث موضوع هذا العلم فإننا نجد من استعراض الدراسات الأنثروبولوجية في ماضيها وحاضرها أن رجال هذا العلم قد أخذوا التعريف اللفظي لعلمهم مأخذ الجد. ومن هنا أصبح موضوع هذا العلم بحق هو دراسة الإنسان وأعماله، أي كل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان. ولهذا نقول إن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولا على الإطلاق. وهناك دلائل وشواهد عديدة على هذا الشمول: فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها- من ناحية- على الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية، وعلى سلوك الإنسان كعضو في مجتمع، من ناحية أخرى.[2]

فعلم الأنثروبولوجيا حسب (رالف لنتون) يركز اهتمامه على كائن واحد، الإنسان، ويحاول فهم جميع أنواع الظاهرات التي تؤثر فيه، في حين تركز العلوم الأخرى اهتمامها على أنواع محدودة من الظاهرات، أنى وجدت في الطبيعة. وكان علم الانثروبولوجيا ولا يزال يحاول فهم كل ما يمكن أن يُعرف عن طبيعة هذا المخلوق الغريب الذي يسير على قدمين، وكذلك فهم سلوكه الذي يفوق طبيعته الجسمية غرابة.[3]

[1] - مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، ص ص 109- 110.

[2] - محمد الجوهري وعلياء شكري، مرجع سبق ذكره، 18.

[3] - رالف لنتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة: عبد الملك الناشف، بيروت- صيدا، المكتبة العصرية، 1967، ص 14.

ثم إن الأنثروبولوجي لا يقصر نفسه على دراسة أي مجموعة من الناس، أو أي حقبة من الحق التاريخية، بل إننا نجده –على العكس من ذلك– يهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بنفس درجة اهتمامه بالأشكال المعاصرة، إذ يدرس كل من التطور البنائي للبشرية ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا. كذلك يوجه الأنثروبولوجي اهتمامًا خاصا إلى الدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة. وهو يحاول – في أحد فروع الدراسة الأنثروبولوجية– كشف وتوصيف المعايير الفيزيقية التي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية الأخرى، وكذلك تلك المعايير التي تصلح للتمييز بين الأنواع العديدة داخل الأسرة البشرية نفسها.

وتركز الدراسة المقارنة للحضارات (أو الثقافات كما يسميها علماء الأنثروبولوجيا) اهتمامًا على أوجه الإختلاف والتشابه في الثقافات، التي يمكن ملاحظتها بين الجماعات البشرية العديدة التي تعيش على سطح كوكبنا، وتحاول أن تحدد وتعرف القوانين أو المبادئ التي تحكم تكَوُن المجتمعات البشرية والثقافات البشرية وتطورها.

من خلال ما سبق نصبح أقدر على عرض الموضوع الاساسي الذي تقوم عليه كل البحوث الأنثروبولوجية، هذا الموضوع هو – بالدرجة الأولى– البحث عن مجموعة من المبادئ التي تحكم تطور الإنسان فيزيقيا وثقافيا: لماذا تغير التركيب الفيزيقي للإنسان؟ لماذا توجد أنماط بشرية متميزة بمثل هذه الكثرة رغم أصلها المشترك جميعا؟ وإذا لم يكن التنوع الثقافي واللغوي عند الإنسان نتيجة فروق متوارثة بيولوجيا في السلوك، فما هو السبب في تلك الفروق الواسعة المتعددة في اللغات والثقافات..؟ ما هي طبيعة الثقافة، وكيف تتغير الثقافات؟ ما هي العلاقة المنهجية المنظمة بين مختلف جوانب السلوك الاجتماعي والثقافي للإنسان؟ كيف يستجيب الأفراد للمثل العليا والأهداف التي تحددها لهم الثقافات؟ ماهي العلاقات بين الثقافات والشخصية؟ ولاشك أن حلول مثل هذه المشكلات تتطلب إجراء دراسات ومقارنات مركزة لكثير من الثقافات البشرية بقدر ما تستطيع البحوث ذلك، لذلك يتحتم على الأنثروبولوجي أن يستعين بالمنهج المقارن، فالعلم اليوم – بما يتضمنه من بقايا نادرة متفرقة للماضي البعيد – هو المعمل الوحيد المتاح للبحث الأنثروبولوجي.[1]

[1] – محمد الجوهري وعلياء شكري، مرجع سبق ذكره، ص ص 22– 23.

ثالثا/ المفاهيم المرتبطة بالأنثروبولوجيا (الإثنوغرافيا – الإثنولوجيا – الأركيولوجيا)

إن هنالك التباسا كبيرا بين كل من **الإثنوغرافيا**، **الإثنولوجيا**، و**الأنثروبولوجيا**، إلا أن الباحث (كلود ليفي ستروس) **Claud** levis stross يميز بين هذه المفاهيم الثلاث، وهو الاجدر بهذه المهمة لأنه من الأنثروبولوجيين الكبار ويطابق هذه المفاهيم بثلاث مستويات للبحث، حيث تشكل حقلا متكاملا، فهي لا تعتبر مستقلة بذاتها وإنما هي " **مستويات في البحث**".[1]

فمصطلح **الإثنوغرافيا** الذي ظهر للمرة الأولى سنة 1607 م، ينقسم إلى (أثنو) وتعني جنس أو شعب، و(غرافيا) وتعني كتابة أو وصف، وتقتصر الدراسة في الإثنوغرافيا على الناحية الوصفية لعادات وأعراف شعوب محددة، خاصة الشعوب البدائية، كما يعرفها الدكتور عبد الوهاب بوخنوفة بأنها : "دراسة المجتمع في الميدان بدراسة أنماط المعيشة، والعلاقات التي ينسجها الناس فيما بينهم، والمعتقدات التي يتقاسمونها، وكذا دراسة التظاهرات الثقافية التي تجمعهم.

و تعرف **الإثنوغرافيا** على أنها الدراسة التحليلية للمجموعات الإثنية " العرقية " المعاصرة،(دراسة تلك المجموعات المادية والإجتماعية واللغوية)، وهي " ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان ووصف النشاط الثقافي كما يبدو، والدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات وأصناف التراث الخاصة بالإثنيات، أي تلك التجمعات الإنسانية التي تمتاز ببنية عائلية، واقتصادية واجتماعية متجانسة، حيث تقوم الوحدة على لغة وثقافة مشتركة. ويعرف الفولكلوريون الإثنوغرافيا بأنها ملاحظة وتسجيل المادة الإعلامية من الميدان كما تعني أيضا وصف النشاط الثقافي كما يبدو من خلال دراسة الوثائق التاريخية. كما تعني الإثنوغرافيا أعمال الباحثين والفولكلوريين وسواهم الذين بحثوا طبائع الشعوب وعاداتهم وثقافتهم وتقاليدهم ودورة حياتهم[2]

فمهمة الباحث الإثنوغرافي فيها هي جمع البيانات دون تقديم تفسير أو تحليل لها، أي تقتصر على وصف حضارة ما دون أي تعليق عليها. وجاء في معجم العلوم الاجتماعية أن الإثنوغرافيا تعني "وصف الشعوب" فهي الدراسة الوصفية – في الميدان – للمجتمعات الإنسانية وبخاصة المجتمعات البدائية.

[1]– كنزة حاج حامدري، **دور التلفزيون في تشكيل بعض القيم لدى المرأة الريفية الجزائرية**، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، 2011 – 2010، ص ص: 30 -31.

[2]– كنزة حاج حامدري، نفس المرجع، ص ص: 30 -31.

في ما تعني **الإثنولوجيا**[1] (علم الأعراق البشرية) الدراسة المقارنة للأعراق والشعوب، أي الدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الاثنوجرافية، ولذلك فإنهما تكملان بعضهما البعض، وغالبا ما كانت تستعمل عبارتا إثنولوجيا واثنوغرافيا في فرنسا وحتى في الحرب العالمية الثانية بلا تمييز، إشارة إلى واحد من العلوم الإنسانية الذي كان يميل حصريا إلى دراسة المجتمعات " البدائية "، وعندما كان يتم التمييز بينهما فقد كان من المتفق عليه اعتبار أن مهمة الإثنوغرافيا تتمثل في جمع المواد التي تحللها الإثنولوجيا. والإثنوغرافيا تقدم المادة الميدانية بشكل وصفي بعد جمعها وفق معايير خاصة، فإذا بدأ الإثنولوجيا عمله قام بالتحليل والمقارنة.

أما **الأنثروبولوجيا** فهي تقوم عبر المقارنة والتعميم والانتقال إلى ميدان النظرية، بوضع نتائج البحث الإثنولوجي في خدمة " معرفة عامة بالإنسان "[2] وهكذا بما أن الإثنوغرافيا مرحلة سابقة وضرورية للإثنولوجيا، فإن الإثنولوجيا بدورها تمثل مرحلة سابقة للأنثروبولوجيا، وبمعني أوضح، إن الأنثروبولوجيا تمثل الخطوة الأخيرة من تطور النهج الإثنولوجي. ونشير إلى أن المسيرة الإثنوغرافية والإثنولوجية والأنثروبولوجيا تتلخص فيما يلي:

- **المحطة الأولى: الإثنوغرافيا:** الرصد والشرح والوصف والتفسير.
- **المحطة الثانية: الإثنولوجيا:** التحليل والمقارنة والتصنيف.
- **المحطة الثالثة: الأنثروبولوجيا:** استنباط القواعد والقوانين والأنساق.[3]

وبالنسبة **للأركيولوجيا (علم الآثار) Archeology** فهو فرع من الأنثروبولوجيا يهتم بالكشف عن مخلفات الإنسان القديم وآثاره ورواسبها لمعرفة النظم التي كان يسير عليها، ويحاول هذا العلم استكمال المعرفة الواردة في السجلات المكتوبة ويقوم علماء الآثار بدراسة المخلفات الثقافية كالمباني والأدوات والأواني الفخارية والأشياء الفنية وعظام الحيوانات.

ويشكل علم الآثار (أو علم أثار ما قبل التاريخ، كما يطلق عليه في أوروبا) تخصصا فرعيا وثيق الصلة بالأنثروبولوجيا، إذ بينهما تعد مقارنة السمات أو الخصائص التشريحية لحفريات التي اكتُشفت جزءاً من الأنثروبولوجيا البيولوجية، فإن صلة هذه الحفريات

[1]- الإثنية، الأقوامية Ethnology. مصطلح أدخله السويسري شافال على العلوم عام 1787 تعني علم تصنيف الأعراق

[2]- كنزة حاج حامدري، نفس المرجع، ص ص: 32 -33.

[3]- محمد سعيدي، **الانثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق– دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر–**، أطروحة دكتوراه في الانثروبولوجيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، 2006 -2007، ص20.

بالوسط الذي تواجدت فيه، والبحث عن مفاتيح لبناء وتصور مجتمعات ما قبل التاريخ، كل ذلك ينتمي إلى علم الأثار ويصير ضمن اهتماماته.

ويشمل علم الآثار كذلك البحث في العلاقات بين الجماعات، وإعادة تركيب وتصور الحياة الاجتماعية حتى في الأزمنة الحديثة. ينسحب ذلك ويصدق خصوصا على اكتشافات المادة الأمريكية الشمالية الأصلية التي ترجع إلى فترة تسبق ظهور التقارير والسجلات المكتوبة. ويعتبر الكثير من علماء الأثار الأمريكيين تخصصهم الفرعي مجرد امتداد، للوراء في الزمن للأنثروبولوجيا الثقافية.[1]

رابعا/ أهداف الأنثروبولوجيا[2]:

طبعا لهذا العلم نفس الأهداف العامة للعلوم الأخرى (التفسير – التنبؤ- التحكم)، لكن له أيضا أهداف تخصه هو الآخر حسب (رالف لنتون) وهي:

- **وصف** المظاهر البشرية الاجتماعية والثقافية والجسدية بشكل دقيق من خلال معايشة الباحث لذلك المجتمع المدروس وتسجيل كل سلوكياته اليومية.
- **تصنيف** الأنماط المعيشية ومظاهرها إلى أشكال واقعية تسمح بتفسير حياة الأفراد، وتحديد تطور هذه الأصناف حضاريا وانسانيا.
- **تتبع أنماط التغير الإنساني وأسبابه ونواتجه** بربط الواقع الحاضر بالتراث السابق والمقارنة بينهما وبين المجتمعات الأخرى أيضا.
- **التنبؤ بحركة المجتمع المستقبلية من خلال استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغير المحتمل في الظواهر الانسانية/ الحضارية التي تتم دراستها.**

[1]- آلان برنارد، **التاريخ والنظرية في الأنثروبولوجيا**، ترجمة: سيد فارس، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2017، ص17.

[2]- عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص15.

خامسا/ أهمية الأنثروبولوجيا:

لعل الأنثروبولوجيا حالها حال بقية العلوم الأخرى التي نشأت من حاجات الإنسان المتعددة، جاءت لتساهم في إثراء حياة الإنسان بالوضوح وفك طلاسم الكثير من التعقيدات المتمثلة بطبيعته والنظم التي يعيش فيها وتطورات حياته والسلسلة التاريخية التي مرت بها ثقافاته المختلفة وغيرها من الأمور التي تحاول رصدها الأنثروبولوجيا لتعكس صورة أشد دقة لمعترك حياة ذلك الإنسان، لذلك لا يمكن القول إلا أنها قد زادت من رصيد التفحص الدقيق في الحياة البشرية وتراكماتها المعرفية وقد جعلت من رؤيا الحياة البشرية أكثر وضوحًا ودون تعقيد يذكر، فمن المؤكد أنها وضعت إسهامات عديدة في الميدان الإنساني على اعتبار أنها ن اوجدت للإنسان بكل متضمناته.[1]

لقد ساهمت الأنثروبولوجيا في مساعدتنا على فهم أنفسنا بشكلٍ أفضل، وربما تكون واحدة من أفضل الطرق لكسب المعرفة الذاتية، هو معرفة قدر المستطاع ما يتعلق بثقافة الإنسان الخاصة، لغرض فهم القوى التي تشكِّل تفكيرنا والقيم والسلوكات الأخرى وأفضل وسيلة لتعلَّم ثقافاتنا هو أن نتعلَّم عن الثقافات الأخرى، ويكون من خلال معرفة مكونات ثقافاتنا وأنماطها والسمات التي طرحتها وكيفية تشكيلها ومدى اندماجها مع المؤثرات الحياتية الأخرى وكيفية استقبالها للناتج الثقافي الوافد من الخارج، بحيث تصبح لنا صورة أوضح عن الحياة التي نحيا بها لنتمكن من التعامل مع تعقيداتها بالطريقة المثلى.

فعدم معرفتنا بما انطوى عليه تطورنا البشري وتشكيل ثقافاتنا عبر التاريخ سوف لن يعطينا صورة متوقعة لما ستؤول إليه الأمور في حياتنا الحاضرة، وقد ساهمت الأنثروبولوجيا بفروعها المتعددة في سبر غور هذه المتناقضات محاولةً مراكمة المعرفة العلمية حول هذا العلم لتحقيق أكبر فائدة للبشرية.

واستطاعت الأنثروبولوجيا أيضا أن تزرع مهارات التفكير النقدي بالاعتماد على المنهج العلمي حول البيانات التي تم جمعها من الميدان، وتخلق الأنثروبولوجيا وعيًا عالميًا آخذًا بالتوسع وكذلك تخلق تقديرًا ومنظورًا متعددًا للثقافات الأخرى، بحيث تسمح لنا بأن نرى أنفسنا كجزء من أسرة إنسانية واحدة في ظل كل هذه التنوعات الهائلة.

[1]- مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، ص120.

وفي خضم التعقيد الهائل الذي نعيشه اليوم تحاول الأنثروبولوجيا أن تسهم في فك ملابسات التغيرات القيمية والثقافية الكثيرة والتطورات في النظم وتبدلات الطقوس وكذلك استشراف المستقبل وفق المعطيات التي يمكن الحصول عليها من الميدان، إنها تقرأ الواقع بعين فاحصة دقيقة لتكون لها مجموعة من الأفكار القابلة للتفسير وللكشف عن غموض الكثير من المعطيات التي باتت بحاجة إلى وضع حلولٍ لها.

لقد أصبحت الأنثروبولوجيا كمتَّكأ للإنسان فضلاً عن بقية العلوم الأخرى، فقد قدمت خدمة جليلة له بسبر غور معطيات كثيرة كان غير قادر على فقهها بالمعنى والصورة التي تمكَّنه من الحياة بصورة تتلاءم ومستوى إلمامه بها ونسج التوقعات العديدة حولها، إذ اختطَّت له أداة تنقيبية تربط الأجزاء بعضها ببعض لتشكَّل الصورة الحقيقية عن الماضي والواقع الذي يعيش فيه.[1]

[1]- مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، ص ص 122- 123- 124.

المحاضرة الثانية

تاريخ الأنثروبولوجيا (النشأة والتطور)

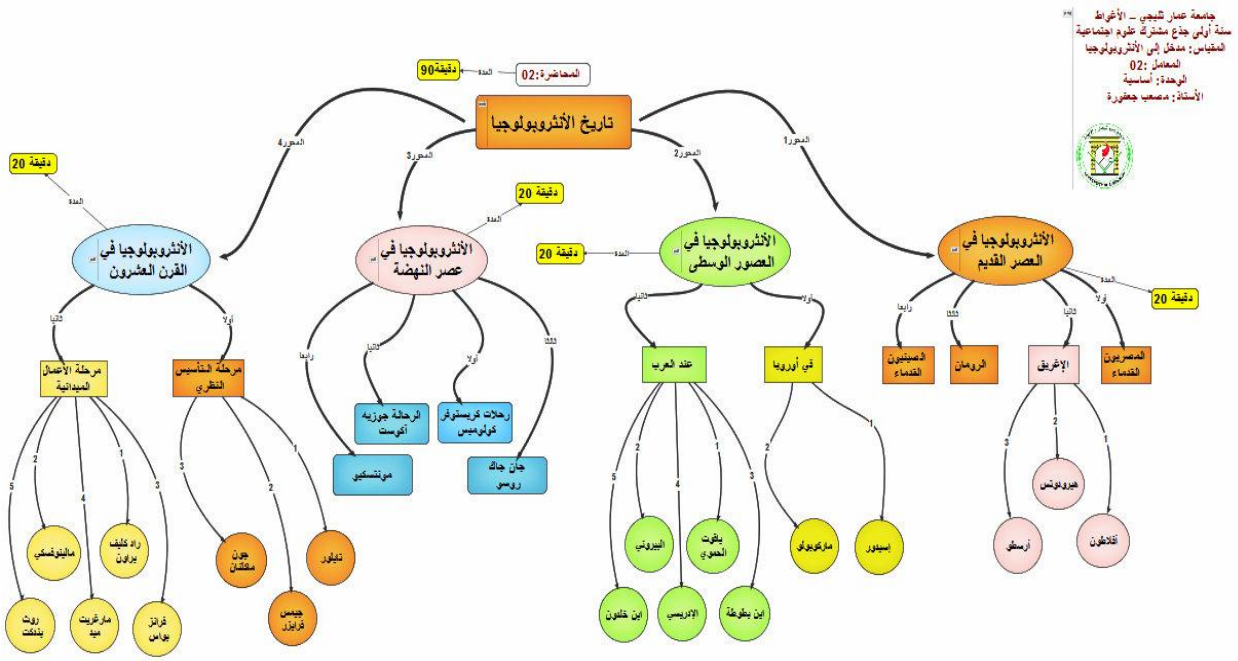
المحاضرة الثانية

تاريخ الأنثروبولوجيا (النشأة والتطور)

تمهيد:

إن البحث في موضوعات علم الانسان قديم قدم الإنسان نفسه وقدم التفكير الإنساني وقبل أن ينشأ علم الانسان بزمن طويل، فلقد جذبت الفوارق العنصرية بين بني الإنسان نظر كونفشيوس أو كنج تسي الصيني منذ القرن السادس قبل الميلاد، وقبل ذلك بأربعة أو خمسة قرون تغنى اليهود بأنهم شعب الله المختار. وعند اليونان يصف هيرودوتس (485- 425 ق.م) عادات الشعوب والفوارق بينها وبيّن الفوارق الجسمية بينها.

ونهدف من خلال هذه المحاضرة التطرق لأهم المراحل التاريخية التي مرت بها الأنثروبولوجيا في تاريخها، وذلك بداية من العصور القديمة عند المصريين القدماء والإغريق والرومان والصينين القدماء، مرورا بالعصور الوسطى بتسليط الضوء على الفكر الانثروبولوجي عن الأوربيين والعرب، وصولا إلى عصر النهضة الأوربية والقرن العشرين أين اتسع مفهوم الأنثروبولوجيا في معناها الحقيقي العليم المتخصص. والخريطة الذهنية الموالية تشرح أهم العناصر التي سيتم التطرق إليها في هذه المحاضرة.



أولا/ الأنثروبولوجيا في العصر القديم:

1. عند المصريين القدماء:

يجمع معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، على أنّ الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام 1493 قبل الميلاد إلى بلاد بونت (الصومال حالياً) بهدف التبادل التجاري، تعدّ من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب. وقد كانت الرحلة مؤلّفة من خمسة مراكب، على متن كلّ منها / 31 / راكباً، وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة التي شملت البخور والعطور. ونتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام أفريقيا. وتأكيداً لإقامة علاقات معهم فيما بعد، فقد صوّرت النقوش في معبد الدير البحري، استقبال ملك وملكة بلاد (بونت) لمبعوث مصري.

2. عند الإغريق (اليونانيين القدماء)

أ- هيرودوتس Herodotus : يعد هيرودوتس - والذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد- رحالة محبا للأسفار، ويطلق عليه البعض من الباحثين أبو الأنثروبولوجيا. حيث طرح فكرة وجود تنوع وفوراق بين الشعوب في النواحي الثقافية واللغوية والسلالية والدينية، ومدى اقتباس العشوب بعضها عن بعض. ووصف هيرودوتس بإسهاب التكوين الجسمي لأقوام قديمة، كما وصف عاداتهم. وقدم بعض الفروض حول اللغة الأصلية للجنس البشري. وتناول الصراع بين اليونان والفرس، كما عرض وصفا للحياة الاجتماعية في مصر، ولحياة بعض الشعوب، لهذا يعتقد البعض

أن منهج هيرودوتس في وصف ثقافات الشعوب وحياتهم وبعض نظمهم الاجتماعية، ينطوي على بعض أساسيات المنهج (الاثنوجرافي) المتعارف عليه في العصر الحاضر باسم (علم الشعوب).[1]

ب-أفلاطون (**428-**347ق.م): تناول طبيعة العلاقات الاجتماعية والجماعات العرقية، ووضع تصورا مثاليا لتغيير مجتمع أثينا، وما يجب أن تكون عليه الحياة الاجتماعية. وهو ما تبلور في كتابه الشهير " الجمهورية". ولعل الدافع وراء هذا التخيل للمدينة الفاضلة هو تلك الأزمات السياسية والحروب، واضطراب أحوال المجتمع آنذاك بصفة عامة. وفي ضوء هذا يتبين أن أفلاطون قد وضع نظامه في صورة معيارية، فهو لا يصف المدينة كما هي ولكن بما ينبغي أن تكون.

[1] - حسين عبد الحميد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2003، ص41.

ج– أرسطو: استخدم مصطلح الأنثروبولوجيا للإشارة العلم الذي يهتم بدراسة الانسان وبمعنى أدق للإشارة إلى الشخص الذي يتحدث عن نفسه. ومن الواضح أن هذا المعنى يختلف تماما عن المعنى الحديث للاصطلاح.[1] كما كان من أوائل الذين وضعوا بعض أوليات الفكر التطوري للكائنات الحية من خلال تأملاته في التركيبة البيولوجية وتطورها في الحيوان. كما وصف الحكومات وتحليل أشكالها وأفضلها مما يعتبر مساهمة مبدئية في دراسة النظم الاجتماعية.

3. عند الرومان:

امتدّ عصر الإمبراطورية الرومانية حوالي ستة قرون، تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الإنسانية وطبيعتها، وتفسير التباين والاختلاف فيما بينها.. ولكنّهم لم يأخذوا بالنماذج المثالية/ المجرّدة للحياة الإنسانية، بل وجّهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس والمحسوس. ومع ذلك، لا يجد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصيلة في نشأة علم مستقلّ لدراسة الشعوب وثقافاتهم، أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات .

ولكن يمكن أن يستثنى من ذلك كل من المؤرخ الروماني " تاكيتس" الذي كتب دراسة عن القبائل الجرمانية، وأشعار (كارلوس لوكرتيوس) التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة، ففي الباب السادس تحدث فيه عن تطور الإنسان وفكرة العقد الاجتماعي ونظام الملكية ونشأة اللغة ومعالجة موضوع العادات والفنون والأزياء. كما وجد الرومان في أنفسهم امتيازاً وأفضلية على الشعوب الأخرى. فإن رضو عن شعب منحوه الجنسية، وإن رفضوه فهو بربر.

وقد رأى بعض الأنثروبولوجيون، أنّ (لوكرتيوس) استطاع أن يتصوّر مسار البشرية في عصور حجرية ثمّ برونزية، ثمّ حديدية... بينما رأى بعضهم الآخر في فكر لوكرتيوس، تطابقاً مع فكر "لويس مورجان" (1818-1881) أحد أعلام الأنثروبولوجيا في القرن التاسع وذلك من حيث رؤية التقدّم والانتقال من مرحلة إلى أخرى، في إطار حدوث طفرات مادية.

4. عند الصينيين القدماء:

حالة الاكتفاء الاقتصادي لدى الصينين في القديم جعلتهم لا يعبؤون بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، ومع ذلك، لم يخلُ تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية، والتي كانت تتّسم بالازدراء والاحتقار. ولكي يؤكّد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا " سور الصين العظيم " حتى لا تدنّس أرضهم بأقدام الآخرين.

[1]- نفس المرجع، ص42.

ثانيا/ الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى:

يجمع معظم المؤرّخين أن هذه العصور، تمتدّ من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر الميلادي. وقد اصطلح على تسميتها بالعصور الوسطى كونها ارتبطت بتدهور الحضارة الأوربية وارتداد الفكر إلى حقبة مظلمة من جهة، ولأنّها من جهة وقعت بين عهدين هما: نهاية ازدهار الفلسفات الأوربية القديمة (اليونانية والرومانية) وبداية عصر النهضة الأوربية (عصر التنوير) والانطلاق إلى مجالات جديدة من استكشاف العوالم الأخرى، وإحياء التراث الفكري القديم، وإبداعات في الفنون والآداب المختلفة، في الوقت الذي كانت فيه الحضارة العربية الإسلامية تزدهر، وتتّسع لتشمل مجالات العلوم المختلفة.

1. العصور الوسطى في أوروبا:

لقد ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدّة للكتابة عن بعض الشعوب، إلاّ أنّها اتّسمت -غالباً- بالوصف التخيّلي، بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع. مثال ذلك، ما قام به الأسقف " إسيدور" Isidore (560-636م) حيث أعدّ في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية، تتّسم بالسطحية والتحيّز، وممّا ذكره، أنّ قرب الشعوب من أوربا أو بعدها عنها، يحدّد درجة تقدّمها.[1]

وفي هذه المرحلة تعددت الأسفار التي قام بها المحاربون في الحروب الصليبية والحجاج والمبشرون والتجار، وظهرت كتابات عديدة عن تلك الأسفار والرحلات، ومن الرحالة المشهورين "ماركوبولو" البندقي (1254-1323) الذي اشتغل بالتجارة في الصين لمدة 24سنة، وقدم وصفا لعادات تلك الشعوب.[2]

2. العصور الوسطى عند العرب:

وتمتدّ من منتصف القرن السابع الميلادي، وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقريباً. حيث بدأ الإسلام في الانتشار، وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية آنذاك بالتكوين والازدهار. وقد تضمّنت هذه الحضارة: الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية.

---

[1]- عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص23.

[2]- حسين عبد الحميد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص43.

وقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات العربية الإسلامية، الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، حيث أصبح ذلك من ضرورات التنظيم والحكم. ولذلك، برز العرب في وضع **المعاجم الجغرافية، كمعجم (البلدان) لياقوت الحموي.** وكذلك إعداد **الموسوعات** الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) مثل: " **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري،** و" **نهاية الأرب في فنون العرب " لشهاب الدين النويري.**

و إلى جانب اهتمّام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران، فقد تميّزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصيّة، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية .

وهناك من تخصّص في وصف إقليم واحد مثل(**البيروني**) الذي عاش ما بين (342-440هـ) ووضع كتاباً عن الهند بعنوان " **تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**" وصف فيه المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية. واهتمّ أيضاً بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية، بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس. وأبرز البيروني في هذا الكتاب، حقيقة أنّ الدين يؤدّي الدور الرئيس في تكبيل الحياة الهندية، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات، وصياغة القيم والمعتقدات.

ونذكر الأصمعي، حين تجول وتنقَّل في مضارب العديد من القبائل لجمع كل ما هو غريب من الكلام، بحيث لم يترك شاردة وواردة إلا وذكرها عن كل ما يتعلق بها، وفي ذلك إشارة إلى الأسلوب الأنثروبولوجي المتَّبع في العلم بحد ذاته بحيث لم يكن آنذاك الاستخدام وفق ناصية الأنثروبولوجيا وإنما بطريقة الجمع لأغراض معينة.[1]

كما كانت **لرحلات ابن بطوطة** وكتاباته خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكاتهم وقيمهم وتقاليدهم. فمّما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان: " فمن أفعالهم قلّة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه. ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب. ومنها عدم تعرّضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان (البيض والأجانب) ولو كان القناطير المقنطرة. وإنّما يتركونه بيد ثقة من البيضان، حتى يأخذه مستحقّه.

[1]- مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، ص 124.

أمّا كتاب **ابن خلدون " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "** فقد نال شهرة كبيرة وواسعة بسبب مقدّمته الرئيسة وعنوانها: "في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان، والكسب والمعاش والمصانع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب ". وتعتبر هذه المقدّمة عملاً أصيلاً في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال أفريقيا، ولا سيّما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كلّ ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة. وقد شكّلت موضوعات هذه المقدّمة – فيما بعد – اهتماماً رئيسياً في الدراسات الأنثروبولوجية.[1]

ومن أهمّ الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقدّمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنثروبولوجيا، هي تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية. فقد ردّ ابن خلدون– استناداً إلى تلك الدعامة – اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسيّة وصفاتهم الجسمية والخلَقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضاً عاملاً هاماً في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية. وينقل ابن خلدون عن ابن سينا في أرجوزته في الطب[2]:

بالزنج حَر غير الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

(أي رقيقة)

كما تناول ابن خلدون في مقدّمته أيضاً، مسألة قيام الدول وتطوّرها وأحوالها، وبلور نظرية (دورة العمران) بين البداوة والحضارة على أساس المماثلة بين حياة الجماعة البشرية وحياة الكائن الحي.

وقد سيطرت هذه الفكرة على أذهان علماء الاجتماع في الشرق والغرب – على حدّ سواء – في العصور الوسطى .. حيث اعتبر ابن خلدون أن التطوّر هو سنّة الحياة الاجتماعية، وهو الأساس الذي تستند إليه دراسة الظواهر الاجتماعية، يقول في ذلك : " إنّ أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقرّ، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة

[1]– عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص 24 -25.

[2]– حسن شحاتة سعفان، **علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**، بيروت، منشورات مكتبة العرفان، ب–س، ص 37.

والدول". فعمر الدول عند ابن خلدون كعمر الكائن البشري، تبدأ بالولادة وتنمو إلى الشباب والنضج والكمال، ثمّ تكبر وتهرم وتتلاشى إلى الزوال.

لقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمرّ بها، فكان بذلك، أسبق من علماء الاجتماع في أوروبا. ولذلك، يرى بعض الكتّاب والمؤرّخين، أن ابن خلدون يعتبر المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع، بينما يرى بعضهم الآخر، ولا سيّما علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون، في مقدّمة ابن خلدون بعضاً من موضوعات الأنثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها .وفي أمريكا، أشار (جون هونجيمان) أيضاً في كتابه " تاريخ الفكر الأنثروبولوجي" إلى أنّ ابن خلدون تناول بعض الأفكار ذات الصلة بنظرية (مارفين هاريس) عن "المادية الثقافية" Cultural Materialism ونجد أنّ (هاريس) ذاته، يذكر أنّ ابن خلدون ومن قبله "الشريف الإدريسي" –من خلال كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"–، قدّما أفكاراً ومواد ساعدت في بلورة نظرية الحتمية الجغرافية، التي سادت إبّان القرن الثامن عشر.[1]

واستناداً إلى ما تقدّم يمكن القول : إنّ الفلاسفة والمفكّرين العرب أسهموا بفاعلية – خلال العصور الوسطى– في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية، ولا سيّما التنوّع الثقافي (الحضاري) بين الشعوب، سواء بدراسة خصائص ثقافة أو حضارة بذاتها، أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى. ولكن على الرغم من اعتبارها مصادر للمادة الاثنوجرافية التي درست (أسلوب الحياة في مجتمع معيّن وخلال فترة زمنية محدّدة) ولا سيّما العادات والقيم وأنماط الحياة، فإنّ الأنثروبولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر كعلم جديد معترف به، لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات، ولا بغيرها من الدراسات (اليونانية والرومانية) القديمة.

ثالثا/ الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:

بدأ هذا العصر منذ القرن الـ 14، بانتقال العلوم إلى أوربا واتقائها سواء الإغريقية أو العربية منها، وظهرت كوكبة من الفلاسفة عملت على تغيير الذهنيات وترقية المجتمع فكريا وعلميا وامتدّ هذا العصر إلى حوالي نهايات لقرن 19، وما يميزه النهضة الفكرية القوية لأوربا على مختلف الأصعدة والانتقال من المنهج الفلسفي في التفكير إلى المنهج العلمي.

[1]– عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص25.

إن محاولة توسع دول هذه الحضارة إلى المناطق الأخرى اقتصاديا وسياسيا جعلها تهتم بتاريخ الشعوب الأخرى ومعرفة أنماط ثقافتها وحضارتها، والمقارنة بينها، والبحث في الأساليب الممكنة للتعامل معها، وفهم حركة تطورها، وهو ما سيضع الأسس والدعامات الأساسية لنشأة الأنثروبولوجيا في صيغتها الحديثة نهاية القرن 19م.

ولعلّ أهمّ عامل أيضا في ظهور الأنثروبولوجيا بروز الفكر العلمي القائم على التجريب مع فرانسيس بيكون (1561-1626) وروني ديكارت(1596-1650) واسحاق نيوتن (1642-1727) وغيرهم، والذي غير من نظرة المفكرين للإنسان من التصورات الدينية إلى اعتباره "ظاهرة طبيعية" قابلة للدراسة والبحث العلمي والخضوع للمنهج التجريبي، وبداية البحث في القوانين التي تحكم تطورها، فوفّر ذلك منطلقا للفكر الاجتماعي والدراسات النظرية الأنثروبولوجية.

وفيما يلي أهم الأعمال المنجزة خلال هذه الفترة والتي ساهمت في التراكم المعرفي لهذا التخصص:

1. **الرحلة (أو الرحلات) الاستكشافية لكريستوفر كولومبس (1451- 1506)** إلى القارة الأمريكية مابين (1492-1502) والتي دونها في مذكراته، وسجل مشاهداته واحتكاكه بشعوب هذه الأرض واصفا لعادتهم وتقاليدهم وأساليب عيشهم عن طريق المعايشة المباشرة، فقد وصف شعب جزر الكاريبي وكيف أنهم يعيشون كلهم عراة عدا بعض النساء اللائي يغطين عورتهم بورق الشجر وبالرغم من ذلك فهم مجتمع جدّ خجول إلى حدّ يثير العجب، وليست لديهم أي أدوات أو أسلحة للدفاع عن أنفسهم، إذ أنهم جد مسالمين. كما وصف السكان الأصليين لأمريكا أيضا بأنهم حسنو الخَلق والخُلق، وذوو بنية قوية، يتحركون بحرية شديدة ويعطون زائرهم ما يشاء بسخاء كبير وسرور. هذه البيانات وغيرها جعلت أوربا تتعرف على شعوب جديدة، وتوفر لنفسها مادة عنها، ما أثار عندها التساؤل عن طرق تطور الإنسان ونشأته مقارنة بالكائنات الأخرى.[1]

2. **دراسة الرحالة الإسباني جوزيه آكوستا (1540–1600) في القرن 16 فقد حاول فيها:**

أ– دراسة أولى التعرف على مجتمعات العالم الجديد ومقارنتها بآسيا وأوروبا، وبعد عدة احتمالات توصل إلى أنهم نزحو من آسيا وما يدل على ذلك الاختلافات الموجودة بينهم وبين الشعوب الأوروبية، بذلك ربط بين الواقع والتنظير.

[1]- نفس المرجع، ص ص 27-28.

ب– دراسته في كتابه الشهير "المقالات" عام 1579 حول تصنيف المجتمعات وفق الكتابة، إذ على هذا الأساس تطورت الحضارات، فقد وضع في أعلى الترتيب أوربا نتيجة المستوى المعرفي الذي وصلت إليه ثم الصين في المرتبة الثانية والمكسيك في أدنى درجة، أما المجتمعات الأخرى فقد جاءت في درجات متباينة فيما بينها، وهو تصنيف اعتمده الكثير من الأنثروبولوجيون بعد ذلك، بالمقابل يرى أن المجتمعات " الآكلة للحوم البشر" شعوب فطرية رعتها الطبيعة وسيرتها وفق قوانينها في مقاله " أكلة لحوم البشر"، ويعتقد أن لا حقيقة إلا ما هو موجود في الواقع الذي نعيشه.

3. **أعمال جان جاك روسو(1712–1778)** التي تضمنت مادة اثنوجرافية ثرية عن المقارنات التي أجريت بين المجتمعات المكتشَفة والمجتمعات الأوربية، ويبدو ذلك واضحا في نقده لبعض القيم السائدة في المجتمع الفرنسي واستحسانها في المجتمعات الأخرى، ويعتبر كتابه " العقد الاجتماعي" من المؤلفات الأولى في الأنثروبولوجيا لما فيه من مادة ثرية عن المجتمعات خاصة الأولى.
4. **أعمال دي مونتسكيو (1689– 1755)** في مؤلفه " روح القوانين(الشرائع)" والذي يربط بين القوانين و"العادات والتقاليد" والبيئة وظيفيا، فثلاثية القوانين/ العادات/ البيئة بقيت فترة طويلة مجال اهتمام الأنثروبولوجيين خلال هذه المرحلة، وقد ربطها أيضا بطبيعة الأنظمة السياسية.
5. في نفس الوقت كان **الاتجاه السلالي العنصري** يتزايد في ألمانيا ممثلا في فكر جورج هيجل (1770–1831) وجوهان فختة (1762–1814) وغيرهما ممن يعتقدون في صفاء ونقاء الشعب الألماني على شعوب العالم.[1]

من نفس الاتجاه تقريبا ظهر مؤلف آخر هو جوان هيردر (1733–1803) والذي أكد على تمايز السلالات وفقا لـ: (تركيبتها البشرية/ تأثرها مظاهر المدينة/ رؤيتها لمقومات الحضارة). وقسم السلالات إلى نوعين: نوعية خلقت للرقي، وأخرى محكوم عليها بالتخلف والانحطاط.

وقد واجه هذا الاتجاه العنصري انتقادات شديدة بداية من القرن العشرين، حين بدأ فكّ العلاقة بين السلالات واللغة، فهذه الأخيرة لا تدلّ بالضرورة على انتماء عرقي معين، وبالتالي لا يمكن تقسيم السلالات وفقها، وقد أثبتت ذلك عدة دراسات فيما بعد.

[1]– نفس المرجع، ص29.

رابعا/ الأنثروبولوجيا في القرن العشرون:

منذ بداية القرن العشرين (1900- 1924) وصلت الأنثروبولوجيا إلى مرحلة التخصص، حيث يمكن القول أنه في هذه الفترة نشأت الأنثروبولوجيا باعتبارها علما مستقلا بذاته، وقد مرّت بمرحلتين:

1. **مرحلة التأسيس النظري:** خلال هذه الفترة ظهرت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية الدقيقة والتي أسست لهذا العلم، لكن أصحابها لم يجروا الأبحاث الميدانية بأنفسهم إنما اعتمدوا على الرحالة والمستكشفين، وإن وُجدت فهي جدّ محدودة كما هو حال تايلور مثلا، فأعمال هذه المرحلة كانت أكاديمية لكنها تفتقر إلى الملاحظة بالمشاركة (العمل الميداني من طرف أصحابه)، ويمثلها كل من:

أ- **إدوارد برنت تايلور(1832- 1917)**: انجليزي وهو أول من عُيّن أستاذا للأنثروبولوجيا في العصر الحديث في جامعة "أكسفورد" عام 1884، من أعماله "أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشري"(1865)، "الحضارة البدائية"(1871).

ب-**جون ماكلنان (1827-1881)** انجليزي وأعماله عن "الزواج البدائي" عام 1865.

ج- **جيمس فرايزر (1854-1941)** اسكتلندي، وأعماله حول الأساطير في كتابه " الغصن الذهبي" (1890)، والذي عين أستاذا بجامعة لندن عام 1908.

ما يميز هذه المرحلة أيضا وجود مدرستين متنافستين على عرش التخصص إن لم نقل متصارعتين عليه هما: التطورية والانتشارية.[1]

2. **مرحلة الأعمال الميدانية:** وفي هذه الفترة أصبح العمل الميداني جزءاً من عمل الباحث الأنثروبولوجي وتزايد بشكل كبير، وأبرز مفكري هذه المرحلة هم من الروّاد الأوائل للتخصص أهمهم:

أ- **ألفرد هادون (1855-1940)**: عين أستاذا بجامعة كمبرج عام 1900، دارت أعماله الميدانية حول منطقة مضايق "توريس" مع إحدى البعثات العلمية.

[1]- نفس المرجع، ص29.

ب–راد كليف براون البريطاني (**1881– 1955**): الأستاذ أوكسفورد، وتمت أبرز أعماله الميدانية عن السكّان الأصليين لأستراليا (الأبوريجان) وسكان خليج البنغال، من مؤلفاته "سكان جزر الأندامان" (1922)، "البناء والوظيفة في المجتمع البدائي" (1942)، "المنهج في الأنثروبولوجيا" (1958)

ج– برانسلاو مالينوفسكي (**1884–1942**) بولوني، أنجز أعماله الميدانية عن سكان جزر التروبرياند (4سنوات) بميلانيزيا Melanesia (بجوار أستراليا) وأصبح أستاذاً بجامعة لندن، من مؤلفاته "مغامرة المحيط الهادي الغربي" (1922) "الحياة الجنسية للمجتمعات في شمال غربي ميلانيزيا" (1929)، "الحدائق المرجانية وسحرها" (1935).

د– فرانز بواس (**1858–1942**) ألماني الأصل والأمريكي الجنسية، أعماله الميدانية استهدفت مجتمعات **"الإسكيمو"** بخاصة جزر البافين الكندية، درّس بجامعة كلارك الأمريكية، من مؤلفاته "عقل الإنسان البدائي" (1911)، " الجنس واللغة والثقافة" (1940).

هـ– وغيرهم من الأعمال والمفكرين الآخرين كـ: مارغريت ميد (1901–1971)، روث بندكت (1887–1948)، أبراهام كاردينار (1891–1981) وغيرهم ممن قدم أعمالا ميدانية في الموضوع أثرى بها مسار الأنثروبولوجيا في حلتها الحديثة والعلمية.[1]

[1]– نفس المرجع، ص31.

المحاضرة الثالثة

علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

المحاضرة الثالثة

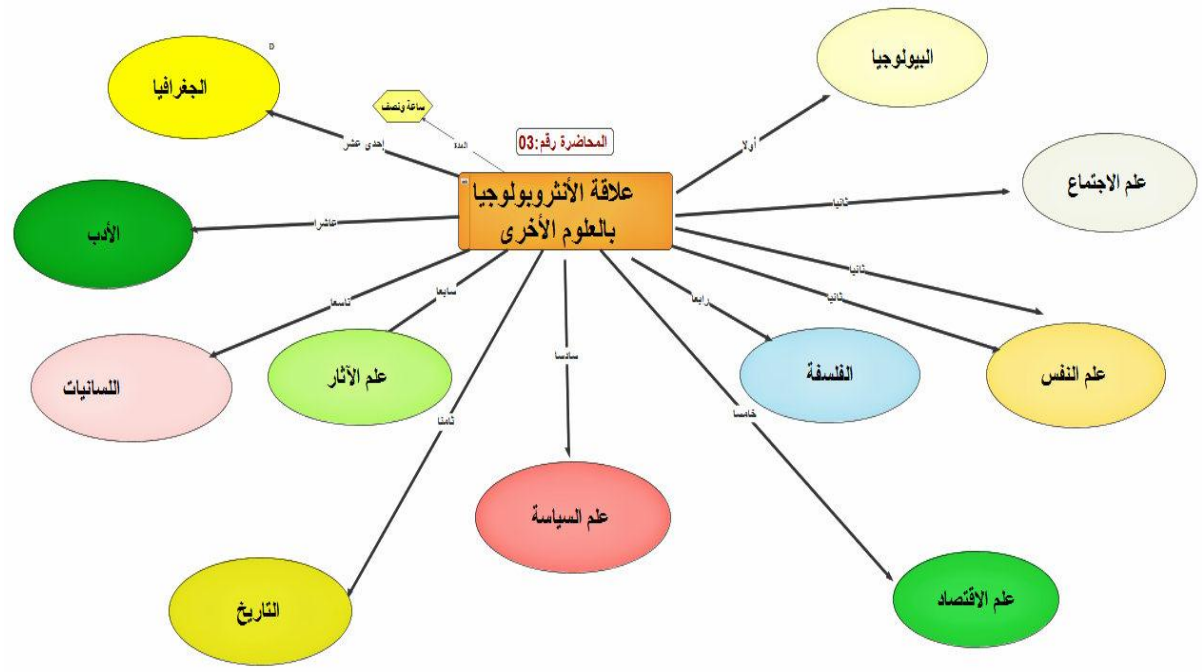
علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

تمهيد:

إن الأنثروبولوجيا تتمحور حول دراسة الإنسان من ناحية الأصول والتطور، والتغيرات المعاصرة أينما ومتى تم العثور عليها، وهي الأوسع في دراسة البشر من جميع التخصصات الأخرى التي تعنى بجانِب معين من جوانب الإنسان، وتتمثل موضوعاتها بدراسة البقايا المتحجرة من الهياكل العظمية للبشر في المراحل الأولى من الحياة وغيرها من المواد التي لا تزال في المواقع الأثرية ما قبل التاريخ وجميع الثقافات التاريخية والمعاصرة في العالم وهي بذلك تشترك مع كثير من التخصصات المعرفية ولكن على نطاق أوسع وتجمع بين ما هو اجتماعي من نظم وقوانين وما هو ثقافي مادي ومعنوي يتعلق بحياة الإنسان، وتحاول تتبع حياة الإنسان من الماضي إلى الحاضر بكل تقلباتها وتطوراتها ورصد التغييرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية المختلفة له وُتنقَّب المتحجرات وغيرها من الأمور التي تتعلق بحياة الإنسان.[1]

إن هناك علاقة وطيدة بين علم الإنسان وباقي العلوم الأخرى سواء تلك التي تنتمي إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية أو التي تنتمي إلى حقل العلوم الطبيعية، فشمولية الدراسة في مجال الأنثروبولوجيا وتغطيتها للعديد من المجالات جعلها تتقاطع مع حقول معرفية أخرى تتقاسم معها المجالات ذاتها، أو تتبادل معها المعلومات والمعارف التي يوفرها فرع معرفي معين بمثابة قاعدة وأساس للانطلاق في الدراسة بالنسبة لفرع معرفي آخر، ذلك ما يبدو مثلا في اعتماد الباحث الأنثروبولوجي على ما يوفره عالم الآثار من معلومات على الشعوب الغابرة، ولبيان العلاقة بين الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم نحاول إيراد بعض الأمثلة على ذلك.

[1] – مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، ص 110– 111.



أولا / علاقة الأنثروبولوجيا بالبيولوجيا (علم الأحياء):

علم البيولوجيا في مفهومه العام هو تخصص يهتم بدراسة الكائنات الحية وكيف تتفاعل مع بعضها البعض، ومع البيئة المحيطة بها. ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية، " ولا سيما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي، وتدخل في ذلك نظرية التطور البيولوجي التي تزعمها " تشارلز داروين" التي تقول بأن **أجسام أجناس الكائنات الحية وأنواعها ووظائف أعضائها تتغير باستمرار مادامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالا جديدة، قد تكون أرقى من الأجيال السابقة، كما هي الحال عند الإنسان** "كما يمكن وصف الثقافة والمجتمع من منطلق هذه الخلفية التطورية.

فإذا كان الموضوع الأساسي في البيولوجيا هو التنوع الجيني والاختلاف البيولوجي فإن موضوع الأنثروبولوجيا يرتكز على دراسة وفهم التنوع والاختلاف الاجتماعي والثقافي، كما يمكن أن يلتقيا في موضوع السلالة والعرق والخصائص الإنسانية.

ثانيا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع :

علم الاجتماع هو:{ **هو الدراسة العلمية للمجتمع: الجماعات، النظم**[1]**، الأفعال والعلاقات الاجتماعية بين أعضاء المجتمع**}. وبما أن السوسيولوجيا تهتم بدراسة الجماعة، إذا فهناك علاقة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فكلاهما يهتم بالإنسان وارتباطه بالمجتمع الذي يعيش ويتفاعل فيه. لذا يمكننا القول أن هناك **اعتماد متبادل** بين العلمين، فنجد اعتماد الأنثروبولوجيا على النظريات الاجتماعية والدراسات السوسيولوجية حول موضوع الدراسة.

كما أن علم الاجتماع يستفيد أيضا من نتائج الدراسات الأنثروبولوجية سواء في مجال النظرية أو المنهج، فنجد فروع علم الاجتماع كعلم الاجتماع الديني واللغوي والثقافي والاقتصادي تستقي كثيرا من موضوعاتها من الدراسات الميدانية الأنثروبولوجية. لذلك اتجه راد كليف براون إلى حد اعتبار الأنثروبولوجيا الاجتماعية فرعا من فروع علم الاجتماع واعتبارها بمثابة علم الاجتماع المقارن .

وقد أُعتبر علم الاجتماع بأنه أقرب الفروع العلمية إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية إذ قامت أسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية على تعاليم المدرسة الفرنسية، فكثير من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع أدركوا منذ وقت طويل ان هناك جوانب تجمع بين العلمين كما انه يوجد كثير من أوجه التقارب بين العلمين مما يؤدي الى ضرورة التوصل الى نظرية متقاربة خاصة وأن علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع يستندون في صياغة النظرية على المادة التي يقدمها كل منهما. وبما أن علم الاجتماع يتناول التفاعل الاجتماعي عند ما يدرس الجماعة، فان ثمة تداخل كبير بينهما فكلاهما يدرس البناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية والوظائف الاجتماعية.[2]

إن علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع هي أقرب إلى العلاقة الجدلية، فرغم تقاربهما الشديد قد يختلفان ويتمايز كل تخصص عن الآخر، سواء في موضوع الدراسة أو المنهج المستخدم، كما توجد فروق بين العلمين فالمجالات المجتمعية التي يتعامل معها علم الاجتماع محدودة، كما أن المناهج وطرق البحث تختلف نسبيا بين علم الاجتماع و الانثروبولوجيا، فبينما يختص علم

---

[1] – **النظم الاجتماعية**: ويعرفها جينز برج بأنها ((القواعد الموضوعية والمعترف بها والتي تحكم الصلات بين أفراد الجماعة)) . ويصفها وليام أجبرن بأنها الطرق التي ينشئها وينظمها المجتمع لتحقيق حاجات إنسانية ضرورية. ومجموعة النظم الاجتماعية تكون لنا البناء الاجتماعي الذي يعرف بأنه الإطار التنظيمي العام الذي يندرج تحته كافة أوجه السلوك الإنساني في مجتمع.

والنظم الاجتماعية الرئيسية هي : نظام عائلة أو قرابة، نظام سياسي، نظام معتقدات، نظام اقتصادي، نظام ثقافي.... الخ، وتتألف النظم الاجتماعية الرئيسية بدورها من مجموعة نظم فرعية.

[2] – يحي مرسي عيد بدر، **أصول علم الانسان –الانثروبولوجيا**، الجزء الأول، ط 1 ، الإسكندرية، دار الوفاء، 2007 ، ص 67.

الاجتماع بدراسة المجتمعات المعاصرة فقط، كانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية ترمي بالدرجة الأولى الى دراسة المجتمعات البدائية لضرورة تاريخية و منهجية و تطبيقية خاصة.[1]

بينما يدرس علم الاجتماع كل نسق من أنساق المجتمع على حدي، ويعتمد في دراسته على أجزاء المسح الاجتماعي وتطبيق الاستبيان واختبار العينات والمعالجة الإحصائية في دراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن العلاقات بين متغيرات محددة، يدرس الأنثروبولوجي المجتمع ككل وذلك من خلال اجراء دراسات عميقة تعتمد على الملاحظة والمعاينة لمجتمع الدراسة كما يقوم بإجراء مقارنات بين ثقافات مختلفة للتعرف على جوانب الاتفاق والاختلاف في بعض جوانب الحياة الاجتماعية.[2]

وإذا كان ثمة تباين بين العلمين فهو لا يتعدى فهم الظواهر الاجتماعية و تفسيراتها وفق اهداف كل منهما فالباحث الانثروبولوجي يعتمد تشخيص الظاهرة استنادا إلى فهم الواقع كما هو و من خلال الملاحظة المباشرة و مشاركة الأفراد في حياتهم العادية، بينما عالم الاجتماع فهو يعتمد على افتراضات نظرية لدراسة الظاهرة و محاولة التحقق منها من خلال المعلومات الظاهرة التي يجمعها بواسطة الاستبيان.[3]

ويمكننا تحديد أوجه الاختلاف بين العلمين في النقاط التالية:

- ✓ الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة الإنسان في شموليته من الجوانب الفيزيقية والثقافية والاجتماعية فهي هنا تكون أشمل في مجال البحث في حين يهتم علم الاجتماع أكثر بالجانب الاجتماعي والثقافي .
- ✓ كلاهما يدرس نفس الظواهر والعمليات الاجتماعية ولكن من منظور مختلف. (مثال السحر)
- ✓ الأنثروبولوجيون يميلون دائما إلى دراسة المجتمعات الصغيرة البسيطة وخاصة المجتمعات البدائية أو التقليدية أو المحلية دراسة شاملة. أما علماء الاجتماع فيميلون غالبا إلى دراسة المجتمعات المعاصرة الصناعية المعقدة. ويندر أن يدرس المجتمعات البدائية أو المنقرضة
- ✓ الأنثروبولوجيا المجتمع ككل، أي كل نواحي الحياة. أما علم الاجتماع فدراسته تكون متخصصة، كدراسة المشكلات.

[1]- نفس المرجع، نفس الصفحة.

[2]- عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص34.

[3]- محمد حسن غامري، **المناهج الأنثروبولوجية**، الاسكندرية، المكتب العربي الحديث- 1982، ص18.

- ✓ من ناحية المنهج الأنثروبولوجيون يعتمدون على المناهج الكيفية. بينما السوسيولوجيون فيعتمدون على المناهج الكيفية والكمية.
- ✓ الأنثروبولوجيون يركزون على الميدان (الملاحظة المباشرة – المشاركة). بينما السوسيولوجيون- خاصة الفرنسين- فيهتمون بالدارسة النظرية ذات الصبغة الفلسفية.

ثالثا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:

علم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك الإنساني الذي يحدث نتيجة عمليات كالدوافع والانفعالات، والإدراك والاتجاهات والمشاعر، كما نجد علم النفس يحاول تفسير السلوك كما يتبدى في شخصية الفرد. أما الأنثروبولوجيا فتهتم بدراسة السلوك الجمعي.

واتجه بعض علماء الانثروبولوجيا إلى الاستعانة بعلم النفس من أجل فهم الظواهر الثقافية و هذا اتجاه قديم يرتبط بالإثنولوجيا، ظهر في كتابات عدد كبير من علماء القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين أمثال (مالينوفسكي) و (جيمس ريفرز) في محاولتهم لمعرفة أصل الثقافة البدائية و نشأتها ، وبخاصة الدين و الشعوذة و السحر. وهناك علماء مثل (بواس) حاول تفسير (التمييز العنصري) بالرجوع إلى العوامل السيكولوجية.

وقد أثمر التعاون بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس فظهر فرع " الأنثروبولوجيا النفسية " و يعرف أيضا باسم" الثقافة و الشخصية" و الذي تبناه (سابير) و (روث بندكت) و (مارغريت ميد) ..و الآخرون . ويمكن القول على وجه التحديد أن أول من فكر في موضوع الثقافة والشخصية هو الانثروبولوجي الأمريكي (هوايت ليزلي) (White L سنة 1925 م) ثم تبنى الفكرة من بعده عالمان آخران هما إيدوارد سابير Sapir.E و دولارد Dolard اللذان نظما سنة 1939 حلقة خاصة في جامعة هيل الأمريكية لمناقشة موضوع (الثقافة والشخصية) وكانت تلك المناقشات بمثابة المنطلق في هذا الاتجاه، حيث أنكب العديد من الأنثروبولوجيون على تحديد السمات الأساسية للشخصية القومية للمجتمعات في بعض الدول، ومن بين هؤلاء العلماء (روت بندكت) Ruth.Benidict التي قادت فريقا من الباحثين لدراسة مجموعة من الثقافات المختلفة.[1]

وفيما يلي سنتحدث عن الثقافة و الشخصية بشيء من التفصيل وهذا لبيان العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس.

[1] – عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافة**، بيروت، دار النهضة العربية، (بدون تاريخ)، ص 59.

❖ العلاقة بين الثقافة والشخصية

إن الثقافة والشخصية ميدان مشترك بين علم الأنثروبولوجيا من ناحية وعلم النفس من ناحية أخرى، على أساس أن علم الانثروبولوجيا هو العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة ويخصص لها فرعا مستقلا هو الأنثروبولوجيا الثقافية، بينما الشخصية هي أحد المباحث العامة في علم النفس، حتى أن هناك فرع مستقلا من علم النفس يعرف لعلم النفس الشخصية وربما كانت هذه الصلة هي التي جعلت بعض العلماء المحدثين يطلقون على مجال البحث في الثقافة والشخصية اصطلاحا جديدا مستلهما من هذه الصلة بين الأنثروبولوجيا و علم النفس، ليصبح لهذا المجال اسم جديد هو الأنثروبولوجيا النفسية. ويمكن تعريف علم الثقافة والشخصية بأنه " ذلك العلم الذي يدرس تلك العلاقة الجدلية والتأثير المتبادل بين كل من الثقافة و الشخصية.

ويهتم علماء الانثروبولوجيا الثقافية بدراسة أساليب معيشة الناس في المناطق المختلفة من العالم، بينما يهتم علماء سيكولوجية الشخصية والأطباء والمحللون النفسيون بتحليل الشخصية الإنسانية لفهمها إلى جانب التعرف على أسباب اختلاف سلوك الناس بعضهم بعضا.

1. مفهوم الشخصية:

لغةً كلمة شخصية Personality مشتقة من لفظ لاتيني pesona ومعناها القناع، أو الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير. وكان استعمال هذا اللفظ مرتبط بالتمثيل المسرحي حيث يبدو الشخص للغير عن طريق ما يأتيه من حديث وحركات ظاهرة.[1]

وبالنسبة للتعريف الاصطلاحي للشخصية عند علماء الاجتماع، فهي عند (أوجبرن) و (نيمكوف) تعني التكامل النفسي الاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني، الذي تعبر عنه عادات الفعل والشعور و الاتجاهات و الآراء. وعرفها (رالف لينتون)، بأنّها : "المجموعة المتكاملة من صفات الفرد العقلية والنفسية. أي المجموع الإجمالي لقدرات الفرد العقلية وإحساسا ته ومعتقداته وعاداته، واستجاباته العاطفية المشروطة."[2]

[1]- محمد قطب سليم، **المجتمع والثقافة و الشخصية**، مصر ، السلطان لتشغيل الأوراق، ب – ت، ص: 89.

[2]- رالف لينتون، **دراسة الإنسان**، ترجمة: عبد الملك الناشف، بيروت المكتبة العصرية، ، 1964، ص: 60.

وقد تعددت تعريفات **علماء النفس** للشخصية بوصفها أنها الاستعدادات الداخلية و العوامل الخارجية التي تتفاعل مع بعضها فتكون الشخصية. فبالنسبة **للسلوكين** فيعرفونها بأنها الصفات و المظاهر الخارجية للشخص، بحيث أن الشخصية هي مجموع العادات السلوكية لفرد، وهي مجموع أوجه النشاط التي يمكن الكشف عنها بالملاحظة. **أما مدرسة التحليل النفسي** فتنظر إلى الشخصية كقوة مركزية داخلية توجه الفرد في حركاته وسكناته. ومثل هذا التعريف غير شامل لأنه يهتم بمظهر واحد من الشخصية، وهو الشخص كما يرى نفسه.[1]

ويعرفها (مورتون برنس) بأنها حاصل جمع كل الاستعدادات و الميول و الغرائز و الدوافع و القوى البيولوجية الفطرية الموروثة، وكذلك الصفات و الاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة. ومن التعاريف التكاملية من تعرفها بأنها التنظيم المتكامل لجميع الخصائص المعرفية، والعاطفية والنزوعية، و الجسمية للفرد، والتي تميزه عن الآخرين.

وعرفها (وودرت) و (ماركويس) بأنها " الأسلوب العام لسلوك الفرد كما يظهر في عاداته التفكيرية وتعبيراته واتجاهاته، وميوله وطريقته، وسلوكه وفلسفته الشخصية في الحياة.[2]

وتعرف الشخصية أيضا على أنها " مجموعة التفاعلات الداخلية للإنسان، تظهر هذه التفاعلات على سلوكه الخارجي وتنعكس على تصرفاته في مواجهة الأحداث التي تعتريه، وكذلك في مواجهة الأفراد المحيطين به، فيؤثر بهم، ويتأثر بهم، وكل فرد من أفراد المجتمع الإنساني يتميز عن غيره في تلك التفاعلات المنعكسة على سلوكه.[3]

2. محددات الشخصية:

انقسم العلماء في آرائهم لمحددات الشخصية إلى اتجاهين رئيسيين:

أ- اتجاه بيولوجي: يؤكد أن العوامل البيولوجية الوراثية هي العوامل الأساسية المحددة للشخصية، فالفرد يرث شخصيته مثلما يرث لون بشرته وطول قامته من أهله وأجداده. وهذه الخصائص البيولوجية للإنسان تطورت بسبب تكيفها مع البيئة من خلال عملية الانتخاب الطبيعي.

[1]- محمد قطب سليم، مرجع سبق ذكره، ص 92- 94.

[2] - نفس المرجع، ص 105.

[3]- سوسن شاكر مجيد، **اضطرابات الشخصية (أنماطها ، قياسها)** ، عمان، دار الصفاء، ط2، 2015، ص: 22-23.

ب–اتجاه اجتماعي: يؤكد هذا الاتجاه أن الشخصية مكتسبة، وأن العوامل والمواقف الاجتماعية التي يمر بها الفرد هي التي تحدد نمط شخصيته، أي أن المجتمع هو الذي يحدد ملامح شخصية الفرد من خلال التنشئة الاجتماعية على حد تعبير دوركايم.

وفي الحقيقة، أنه لا يمكن أن نرجع محددات الشخصية وسماتها إلى العوامل الوراثية أو البيئة وحدها، فكلاهما متلازمان معا منذ بداية الحياة، ومن خلال تفاعلهما تظهر سمات الشخصية.

3. علاقة الشخصية بالثقافة و المجتمع:

إن الحديث عن مفهوم (الثقافة والشخصية) يستدعي منا الحديث عن تلك العلاقة الجدلية والتأثير المتبادل بين كل من الثقافة والشخصية في كل متكامل، أي تلك العلاقة التفاعلية الدائرية والمؤثرة والمتأثرة بين الثقافة والشخصية والتي تشكل حجر الزاوية في دراسات حقل الأنثروبولوجية النفسية. وفي الحقيقة أن أغلب نظريات الشخصية لا تستطيع فصل عنصر الثقافة عن مكوّنات أي نمط من أنماط الشخصية، وكان الجدل –عند الباحثين الأوائل– يدور حول هذه العلاقة، ومدى أسبقية الثقافة وتأثيرها على تكوين الشخصية، أو أسبقية الشخصية وقدرتها على صياغة الثقافة.

وترى بعض الدراسات أن التداخل بين هذين المفهومين أساسي وهام. لهذا نجد الباحثة (بندكيت) ترى أن الثقافة والشخصية عبارة عن جانبين اثنين لحقيقة واحدة، فالشخصية بمثابة النظير السيكولوجي لمفهوم الثقافة.

ويكمن سر مشكلة العلاقة بين الثقافة والشخصية في السؤال التالي: "إلى أي مدى يمكن اعتبار الثقافة مسؤولة عن التنظيم المركزي للشخصيات ؟، أي عن الأنماط السيكولوجية ؟. وبعبارة أخرى: هل يمكن للتأثيرات الثقافية أن تنفذ إلى باب الشخصية وتعدلها ؟

أ– دور الثقافة في تكوين الشخصية (الثقافة صانع الشخصية):

بولد الإنسان عديم الثقافة ، فيكتسب عادات مجتمعه وطرق تفكيره واتجاهاته والمهارات السائدة، حيث يؤثر التراث الثقافي بشقيه المادي و المعنوي في شخصية الفرد ونموه العقلي و الخلقي و الاجتماعي، حيث أن الفرد يتعرض لهذا التراث من خلال عملية

يطلق عليها التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية، وذلك من خلال مراحل نموه المختلفة.[1] حيث يرى بارسونز أن التنشئة الاجتماعية هي عبارة عن عملية تعليم تعتمد على التلقين و المحاكاة و التوحد مع الأنماط العقلية و العاطفية و الأخلاقية عند الطفل و الراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة لا نهاية لها.[2]

فثقافة المجتمع تؤثر في طرق تفكيرنا وتعبيرنا عن انفعالاتنا وفيما نتعلمه من معايير المباح و المحظور، والعدل و الظلم، والحق والباطل وكذلك فيما نكتسبه من معلومات ومهارات وعواطف وأذواق.

ويرى علماء الأنثروبولوجيا أن ثقافة المجتمع هي البوتقة التي تشكل شخصية الفرد، من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية المختلفة، أي أن الشخصية انعكاس لثقافة المجتمع. لهذا نجد بنيديكت (Benedict) تستخلص أن الثقافة والشخصية عبارة عن جانبين اثنين لحقيقة واحدة، بالانطلاق من أن طبيعة العلاقة بينهما تسير في اتجاه واحد: من الثقافة والمجتمع إلى الشخصية.

فكما أن الفرد يولد داخل مجتمع ما، فهو يولد أيضا داخل ثقافة خاصة تشكل شخصيته فالثقافة هي الإطار الأساسي و الوسط الذي تنمو فيه الشخصية و تترعرع، فهي التي تؤثر في أفكاره و معتقداته ومعلوماته ومهارته وخبراته ودوافعه، وطرق تعبيره عن انفعالاته ورغباته، كما تحدد له القيم و المعايير التي يسترشد بها وتفرض عليه التقاليد التي يتمسك بها. وتدل الملاحظات وأبحاث الأنثروبولوجيون على أن طابع الشخصية ذو علاقة وثيقة بنمط الثقافة الذي تخضع له هذه الشخصية، أي ان الشخصية مرآة تعكس صورة الثقافة، كما يقول (دوسن) و(جيتيز) أن الشخصية ممثلة للثقافة التي نشأت فيها.

لهذا نجد أن الأفراد الذين ينشأون في مجتمع معين وثقافة معينة، يتشابهون في بعض الخصائص التي تميز شخصياتهم عن شخصية غيرهم من أبناء المجتمعات والثقافات الأخرى. فالجزائريون مثلا يختلفون في الطابع العام للشخصية عن الانجليز أو الأمريكيين أو حتى بعض الشعوب العربية. هذا وتختلف شخصيات الأفراد في الثقافة الواحدة المنبثقة من "رحم ثقافي" واحد، تبعا لأنواع أو نماذج الثقافات الفرعية التي يضمها هذا الرحم أي الثقافات المحلية و المذهبية.... إلى أخره. معنى هذ أن أنواع ونماذج الشخصية

[1] – حسين عبد الحميد رشوان، **علم الاجتماع النفسي – المجتمع و الثقافة و الشخصية–** ، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2010، ص: 247-248.

[2] – خليل عبد الرحمان المعايطة، **علم النفس الاجتماعي**، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2007، ص:68

تتبع أنواع ونماذج الثقافة، لأن الثقافة هي التي تصوغ الشخصية وتشكلها.[1] لأن النمو الفردي مستحيل بدون تنظيم اجتماعي ثقافي، ذلك أن الجانب الأكبر من الشخصية الإنسانية يرتكز على دعائم المجتمع والثقافة. ويقول (سوروكين) أن هذا القول أكدته الدراسات المتعددة التي أجريت في ميادين علم نفس الطفل، والتحليل النفسي وعلم الجريمة.

وعلى العموم، فإنه يمكن القول أن الثقافة هي التي تشكل شخصية الفرد من النواحي الآتية:

- ✓ **من الناحية الجسمية:** تؤثر الثقافة السائدة في كل مجتمع على السمات الجسمية لأفرادها؛ فالقوام ولون البشرة والعيون وشكل الشعر وغيرها من مواصفات الجمال تتأثر بنظرة المجتمع وتقييمه للجمال. أي أن ثقافة المجتمع تلعب دورا كبيرا في تشكيل أجسام أفرادها.
- ✓ **من الناحية العقلية:** تؤثر ثقافة المجتمع على النواحي العقلية والمعرفية للأفراد؛ فهناك مجتمعات تشجع أفرادها على المعرفة العلمية واستخدام التفكير المنطقي والعقلاني، في حين هناك مجتمعات تشجع أفرادها على الغيبيات والقوى السحرية في تفسير الظواهر، وعدم محاولة البحث عن الأسباب العلمية الرئيسة للظاهرة.
- ✓ **من الناحية المزاجية:** أثبتت العديد من الدراسات أن الثقافة لها أثرا كبيرا في تكوين الصفات المزاجية للفرد؛ عن طريق تشكيل طريقة التعبير عن الانفعالات والمشاعر، والفرد يكتسب هذه السمات من الأسرة التي ينشأ فيها. فمثلا، تشجع بعض الثقافات أفرادها على التحكم في عواطفهم وانفعالاتهم، في حين هناك ثقافات تحث أفرادها على إظهار هذه العواطف والمشاعر بلا تحفظ.
- ✓ **من الناحية الأخلاقية:** تعتبر القيم الأخلاقية نسبية وتختلف من ثقافة إلى أخرى، فالثقافة هي التي تحدد النسق القيمي للأفراد؛ فما يعتبر حلالا في مجتمع، قد يعتبر حراما في مجتمع آخر، والصواب والخطأ يختلف باختلاف الثقافة السائدة.

ب–أثر الشخصية في الثقافة:

في المقابل هناك من يرى أن للشخصية تأثير في الثقافة، فحسبهم الإنسان هو صانع الثقافة، وناقلها ومغيرها، ولا شك أن شخصية هذا الإنسان تأثير في الثقافة، لهذا نجد المحلل النفسي أبراهام كاردنير (Kardiner) قد ذهب إلى انتقاد القول بأسبقية

[1]– محمد قطب سليم، مرجع سبق ذكره، ص: 370– 371.

الثقافة على الشخصية، وبأن العلاقة بينهما تسير في اتجاه واحد (من الثقافة إلى الشخصية). فهو يرى أن نظريات الشخصية والثقافة لم تتعمق في دراسة عملية تكوين الشخصية، ولهذا فشلت في إدراك طبيعة العلاقة الحقيقة بين هذين العنصرين.

قد يتصور البعض أن الثقافة مجموعة من المعارف والمهارات والعادات والاتجاهات التي يكتسبها الفرد بشكل تلقائي من المجتمع المحيط به، وأن الفرد يتقبلها ويستسلم لها دون أي مقاومة أو رفض. ولكن الحقيقة أن الإنسان لا يتقبل الثقافة ولا يكتسبها بشكل تلقائي سلبي دون اختيار أو تعقل، فاكتساب الثقافة يختلف من فرد إلى آخر باختلاف العوامل الوراثية والنفسية الخاصة بكل فرد، وباختلاف أساليب التفاعل الاجتماعي التي يتعرض لها الفرد. بمعنى آخر، أن الإنسان يختار من الثقافة ما يناسب تكوينه الفيزيقي والنفسي، وما يتناسب ومفاهيمه وتفكيره واتجاهاته، فهو يأخذ من الثقافة ويضيف إليها ويؤثر فيها بشكل أو بآخر، لهذا نجد من يعرف الشخصية بأنها " مجموع ما يحدثه الفرد من تأثير في المجتمع" ولذلك، ترى عالمة الاجتماع الأمريكية مارغريت ميد، أن كل فرد في كل جيل يسهم في إعادة شرح الأشكال الثقافية، وبالتالي يسهم أعضاء المجتمع في عملية التغير الثقافي.[1]

وجدير بالذكر، أنه يمكن القول بوجه عام، أن العلماء الغربيين و على رأسهم الأمريكيين يؤكدون دائما تأثير الثقافة على الشخصية، بينما نجد أن العلماء الماركسيين و الراديكاليين يبرزون تأثير الشخصية على الثقافة، بل إنهم يحملون على علماء الغرب اتجاههم الثقافي، ويتهمونهم بأن الهدف من وراء هذا الاتجاه هو ابقاء الحال على ما هو عليه.[2]

إذن يتضح مما سبق، أن هناك علاقة وطيدة بين الثقافة والشخصية، وهذا ما بينته مختلف الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية والنفسية، غير أن الباحث محمد الجوهري في كتابه: (علم الفلكلور) يرى أنه من الأفضل أطلاق مصطلح (الثقافة والشخصية) على علم الأنثروبولوجيا السيكولوجية، وليس مصطلح الشخصية والثقافة) ، لأنه بالرغم من أن هناك علاقة تتسم بطابع الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر بين الثقافة والشخصية إلا أن الثقافة هي الأكثر عطاء وتأثيرا في الشخصية والعكس غير صحيح.

لهذا فالعلاقة بين الانثروبولوجيا وعلم النفس تتضح في دراسات الثقافة والشخصية، وهنا يؤكد (فرويد) على أهمية الخبرات التي يمر بها الطفل وتأثيرها في بناء الشخصية. لذا نجد استعمال المعطيات الأنثروبولوجية في مجال التحليل النفسي مع فرويد حين أكد على

[1] – عاطف وصفي، **الثقافة والشخصية**، دار المعارف، مصر، 1975، ص 105.

[2] – محمد قطب سليم، مرجع سبق ذكره، ص 105.

أن ثقافة المجتمع لها دور في تهذيب الغرائز وضبطها، ، وقد أعطى مثالا على ذلك " الأب المتسلط" الذي قتله أبناؤه وأكلوا لحمه (طبعا كان في المجتمعات البدائية)، كما وضع سيغموند فرويد مقاربة توازي بين الطفل **العصابي**(في لحظة العصبية والغضب يتجرد من الثقافة والتربية العائلية والاجتماعية) **والمتوحش**(الذي يعيش في الطبيعة بدون تربية ولا تعليم وهو طفل بدائي).

وبالنسبة لعلم **النفس الاجتماعي** فقد مكن من دراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية ، مثل الشخصية الانهزامية لدى بعض الشعب والتي أشار اليها ابن خلدون حين قال المغلوب مولع بتقليد الغالب.أو (القابلية للاستعمار) كما أشار إلى ذلك المفكر الجزائري مالك بن نبي. كما يدرس علم النفس الاجتماعي كيف أن العملية السيكولوجية تتأثر بالموقف الاجتماعي، لذا يركز علم النفس الاجتماعي على الدراسة التحليلية لكيفية تأثر الفرد بتلك الأنماط الثقافية. كما يهتم علم النفس والأنثروبولوجيا بدراسة موضوع الدور (وعلاقته بالجنسانية).

رابعا/ الأنثروبولوجيا والفلسفة:

إذا كانت الفلسفة أم العلوم بسبب شموليتها في البحث عن الكون والإنسان، فالأنثروبولوجيا تمتاز هي الأخرى بالشمولية لأنها تبحث في مكنونات الانسان والحياة والطبيعة، وبهذا تتضح العلاقة بينهما والدليل وجود فرع يسمى " الأنثروبولوجيا الفلسفية" التي تأصلت ونشأت خلال العشرينات من هذا القرن في ألمانيا أما في الأربعينات صارت فرعا مستقلا ومبحثا متمايزا من مباحث الفلسفة الألماني، وقد تأسست تاريخيا من معطيات التراث الألماني كما استفادت من الاسهامات التي قدمها علماء ومفكرو علم الطبيعة الإنسانية.

أما عن اهتمامات الأنثروبولوجيا الفلسفية وموضوعات البحث فيها فتركز على مسألة وجود الإنسان وتجاربه وإنجازاته ومخاوفه، كما تبحث في حقائق العلوم التي تسعى إلى الكشف عن طبيعة الفرد وعلاقته بالوجود الإنساني والارتباط بين نمو الجسم وتطور حالة التفكير عند الانسان كما تبحث في أهم الدراسات التي تم تصنيفها تحت ما يسمى باهتمامات الأنثروبولوجيا الفيسيولوجية ووظائفها وأيضا الأنثروبولوجيا العلمية والإجرائية والتي تختص بفهم دور الانسان في صنع نفسه باعتماده على الذات أو اعتماده على الآخرين. هذا وقد ظهرت اهتمامات أخرى في دراسة الجوانب اللاهوتية والتاريخية والسياسية والتشريعية والبيولوجية والفنولوجية، هذا بالإضافة الى الاهتمامات البحثية في مجالات ما وراء الطبيعة الوجودية ونظرية القيم الأبستمولوجيا وفلسفة العلوم وفلسفة التاريخ.

ويركز علماء الانثروبولوجيا الفلسفية على ضرورة الاستفادة بالمنهج التأملي أو التخيلي كمدخل للبحث، من أجل إعادة تأسيس ما يعرف بخريطة أو محيط المعرفة.[1]

خامسا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاقتصاد:

الاقتصاد هو العلم الذي يدرس الانتاج والتوزيع والاستهلاك، ولاشك أن هذه العمليات تحدث في المجتمع، فهي إذا مجال اهتمام بالنسبة للأنثروبولوجيا. كذلك تدرس الأنثروبولوجيا توزيع الثروة ونظام الملكية.

وقد درس علماء الأنثروبولوجيا المجتمعات البسيطة والمجتمعات البدائية، ومن خلال هذه الدراسة ظهر أن النسق الاقتصادي في تلك المجتمعات يتساند تساندًا وظيفيًا مع الأنساق الأخرى للبناء الاجتماعي فيها مما كشف عن جوانب جديدة لم تكن في حسبان النظرية الاقتصادية التي تصلح لدراسة المجتمعات الصناعية الغربية الحديثة، وأن هذه النظرية لا تصلح لتطبيقها على المجتمعات البسيطة ولا تعرف قوى المنافسة والعرض والطلب بالمفهوم الحديث. فعمليات التبادل في المجتمعات البدائية تتم بطريقة المقايضة، مما أدى إلى اقتناع علماء الاقتصاد بذلك. الأمر الذي أدى إلى ظهور فرع جديد يجمع بين علمي الأنثروبولوجيا والاقتصاد[2] يُعرف بالأنثروبولوجيا الاقتصادية والتي تبحث في اقتصاديات الإعاشة للمجتمعات البسيطة والبدائية والبحث في خصائصها وفي أثرها على البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية والانسانية. أو هو علم يربط بين علم الأنثروبولوجيا من ناحية وعلم الاقتصاد من ناحية أخرى، وقد تطور هذا العلم تطورا هائلا بعد أن استهوى علماء الأنثروبولوجيا المحدثين، وأصبح في الوقت الراهن يحتل مكانة مرموقة بين فروع الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

ويرجع الفضل في صك هذا المصطلح إلى المؤرخ الاقتصادي الشهير (جراس)، حيث استخدمه لأول مرة في عام 1927م. وهذا العلم يدرس موضوعات مختلفة تشمل عدد السكان بالمجتمع المحلي ونشاطاتهم الاقتصادية المختلفة، والملكية وأنواعها، والدخول الفردية والجماعية، وأساليب التبادل، و الأسواق المختلفة، والظواهر الاقتصادية البارزة والأسعار وطرق تحديدها.[3]

[1]- محمد عباس إبراهيم وأخرون، **مدخل إلى الانثروبولوجيا**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، 2008 ،ص 309.

[2]- سمير سعيد حجازي، مرجع سبق ذكره، ص18.

[3]- نفس المرجع، ص 17.

وتتضمن الأنثروبولوجيا الاقتصادية الدراسات في كيفية أن يتم إنتاج وتوزيع السلع والخدمات واستهلاكها ضمن مجموع السياقات الثقافية التي هي جزء منها، والموضوعات التي يدرسها علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية واسعة منها أنماط وتقسيم العمل وأنظمة الصرف وتنظيم الممتلكات، وكانت الدراسات المبكرة في الأنثروبولوجيا الاقتصادية خلال أواخر 1940 و1950 وصفية إلى حد كبير، لكنها أصبحت أكثر تحليلية في العقود اللاحقة، كما أنها تهتم بمحاورٍ أخرى من قبل مثلا الوصف الإثنوغرافي لنظم اقتصادية معينة، وتحليل التكوينات الاقتصادية قبل الرأسمالية أو المختلطة، وأيضا تحليل النظم الاقتصادية القومية والدولية والعالمية وتأثيرها على المجتمعات الريفية الصغيرة، أي تخوض بكل ما له علاقة بالفعاليات الاقتصادية وسلوكيات الإنسان وثقافته ومدى تأثيرها في اشتقاق البيئة المناسبة وفق هذه التشكُّلات الاقتصادية بالأسلوب الأنثربولوجي القائم على الوصف والتحليل والتبويب واستخلاص النتائج.[1]

سادسا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم بالسياسة:

السياسية تعني لغة " تدبير أمر عام في جماعة ما تدبيرًا يغلب فيه معنى الإحسان، ويقصد بها اصطلاحا منذ أن استعملها الإغريق تدبير أمور الدولة.[2] وتعرف السياسة أيضا على أنها العمليات الثقافية المستخدمة لصنع القرارات التي تجسد في الحياة العامة. والسياسة ظاهرة اجتماعية معقدة لها سمات مشتركة مع غيرها من الظواهر الاجتماعية. لهذا تسعى الدراسات الأنثروبولوجية لفهم النظم السياسية في المجتمعات البسيطة (كدراستها لأهداف استعمارية) الأمر الذي يثري علم السياسية المقارن.

وقد قصر علماء السياسة دراستهم على المجتمعات السياسية التي تشكل دولا ذات طابع سياسي واضح واستبعدوا دراسة المجتمعات البدائية البسيطة. لكن علماء الأنثروبولوجيا في دراستهم للأنساق السياسية في عدد من المجتمعات البدائية في إفريقيا اكتشفوا وجود أنماط متعددة من المجتمعات تبرز فيها الوحدة السياسية والتنظيم السياسي بأشكال مختلفة. فهناك مجتمعات تؤلف

[1] – مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، 118.

[2] – محمد السويدي، **علم الاجتماع السياسي(ميدانه وقضاياه)**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص: 15.

كل دولة لها سلطة سياسية وأجهزة حكومية ومجتمعات لا تؤلف دولة، حيث تلعب القبيلة كوحدة سياسية ، ويلعب رؤساؤها دورًا بارزًا في الحياة السياسية لتلك المجتمعات، وعلى هذا الأساس ظهر علم جديد هو علم الانثروبولوجيا السياسية.[1]

الانثروبولوجيا السياسية هناك من يعتبرها فرع من فروع الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، تحاول فهم طبيعة القوى السياسية الحاكمة وعلاقات القوة وعلاقة الصفوة بأفراد المجتمع والبناء السياسي للدولة أو القبيلة، وقوى الضبط الاجتماعي السائدة الرسمية وغير الرسمية. أو هي العلم الذي يربط بين علمي الأنثروبولوجيا والسياسة، ويهتم بدراسة المجتمعات البدائية والتقليدية، والحديثة، فضلا عن التنظيمات السياسية، ومصادر السلطة السياسية والجزاءات السياسية، والعلاقات بين الحكام و المحكومين.[2]

سابعا / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الآثار :

لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال الدور المعرفي والمنهجي الذي يقوم به علم الآثار في البحث الأنثروبولوجي حيث يزود الباحث بطاقات علمية ووسائل تقنية مفيدة تساعده على معرفة ما في موضوعه وإبراز بعض خصوصياته المادية والمعنوية الأولى وذلك باستنطاق الآثار المتبقية والوسائل الحضارية التي أبدعها وصنعها الأقدمون وضلت بعض قضاياها حية كعلامات دالة على حضارة وثقافة قد اندثرت وانقرضت أو هي في طريق الزوال بفعل عمل الزمن أو الحروب أو الكوارث الطبيعية.[3]

إن علم الأثار يساعد الباحث الانثروبولوجي في استنطاق الآثار القديمة المتبقية والوسائل الحضارية التي أبدعها وصنعها الأقدمون، والتي تعبر تعبيرا صادقا عن المستوى الفكري والحضاري للشعوب، حيث أن الآثار والتحف الفنية والمعالم التاريخية والأدوات والأواني والرسوم والأشكال الهندسية لبعض البنايات القديمة، تشكل مادة خصبة يعتمدها الباحث الأنثروبولوجي لمعرفة طبيعة النظم الفكرية التي كانت سائدة، وكذلك طبيعة البنية البيولوجية والجسدية التي صنعت هذه الآثار. لذا يلجأ الأنثروبولوجي إلى علم الأثار من أجل تعويض العجز المعرفي في مساءلته لماضي ثقافات الشعوب. (**قياس الشاهد بالغائب**). **فيستفيد الباحث الأنثروبولوجي، بل يعتمد في أكثر الأحيان على أعمال وتقنيات ونظريات وأطروحات ونتائج الباحث في علم الآثار الذي يبحث كما هو معروف في مختلف المراحل التطورية لثقافة الإنسان، حيث يحدد معالم تفكير الإنسان الأول ويدرس مخلفاته ويتبع هذه المخلفات والبقايا ويدرس تطوراتها من حالاتها البدائية الأولى إلى حالتها الراقية .**

[1]- سمير سعيد حجازي، مرجع سبق ذكره، ص 19

[2]- نفس المرجع، ص 21

[3]- محمد سعيدي مرجع سبق ذكره، ص25.

لقد أثبتت هذه الاستعانة المعرفية قوتها في دفع البحث الأنثروبولوجي إلى الغوص أكثر في عمق الكيانات والتاريخية والحضارية وذلك بمسائلة الآثار وفك وتحليل رموزها وتحليل دلالاتها الفكرية والعقائدية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.[1]

ثامنا / علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ :

تعتمد الأنثروبولوجيا اعتمادا كليا على المنهج التاريخي، و يظهر هذا بوضوح في كثير من التيارات الفكرية الأنثروبولوجيا كالتطورية و الانتشارية و التي تبحث في الأصول التاريخية للنظم(الاجتماعية الثقافية) و الثقافة و انتشارها و نموها و تطورها .

وقد اتجه العلماء إزاء النقص الشديد في المعلومات الاثنوجرافية المؤكدة عن ماضي تلك الثقافات إلى التاريخ الظني أو التخميني، وكان لظهور العلامة الأمريكي فرانز بواز 1858 – 1942 أكبر الأثر في توجيه الانثروبولوجيا نحو التاريخ، فظهر اتجاه جديد هو " المدرسة التاريخية" والذي يرمي إلى الاهتمام بالدراسات التفصيلية للثقافات الفردية الصغيرة مثل ثقافة العشائر والقبائل ويتم دراسة العشيرة والقبيلة في إطار منطقتها الإقليمية الثقافية و ترمي تلك الدراسة إلى إعادة بناء تصور تاريخي لثقافة تلك المجتمعات الصغيرة في الماضي ثم المقارنة بين التواريخ للوصول إلى قوانين عامة لنمو الثقافات.[2]

إن علماء الانثروبولوجيا يهتمون بمحاولة إعادة بناء تصوري للثقافة الإنسانية ومعرفة المراحل التاريخية التي مرت بها، وكيفية انتشارها والتغيرات التي طرأت عليها، ولم يكن استخدام المنهج التاريخي في الدراسات الأنثروبولوجيا بالنسبة لبواس هو البحث في تاريخ ثقافة الجنس البشري بأكمله، بل بدراسة تاريخ ثقافة مجتمع محدد دراسة تحليلية تفصيلية. وعلى ذلك اعتمد المنهج التاريخي في الانثروبولوجيا على الأخذ بنمطين أساسيين:

- **النمط الأول**: هو ما يعرف بالدراسة المتزامنة للثقافات المختلفة.
- **النمط الثاني**: هو دراسة الأنماط الثقافية في أزمة تاريخية مختلفة لمنطقة معينة والتي اصطلح على تسميتها بالدراسة التاريخية أو الطولية

ويرى "تايلور" تفسير حقائق الثقافة يكون بفضل المنهج التاريخي الذي يفسر نظاما معينا أو كلا معقدا من النظم عن طريق رسم مراحل التغير نحو التقدم خلال عملية التطور التي يمر بها ذلك النظام مع محاولة فهم أسباب وظروف تغير ذلك النظام. وهنا يظهر

[1]- نفس المرجع، ص26.

[2]- عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 43.

ان الباحث الانثروبولوجي في تبنيه للمنهج التاريخي لا يقف عند حدود الوحدة الزمنية التاريخية، بل يسعى إلى إعطاء وصف متكامل لموضوع الدراسة وليس مجرد معالجة التتابع الزمني.

وسعى علماء الانثروبولوجيا إلى محاولة إقامة بناء تصوري وهذا من خلال تقديم وصف اثنوجرافي لثقافة مجتمع بعينه في زمن محدد "وهنا يحدث الالتقاء بين الاثنوجرافي والمؤرخ خاصة إذا ما تمكن الأول من تحقيق تجربة معاينة لمجتمع يريد المؤرخ أن يكتب عنه، حيث إن الهدف المشترك بينهما هو فهم الحياة الاجتماعية بشكل جيد ويمكن أن نعتبر التاريخ مركب من نتائج الدراسات الاثنوجرافية.[1]

لقد فتح التاريخ –علما ومنهجا– المجال واسعا للأنثروبولوجين للتكفل بالموضوع الأنثروبولوجي تكفلا علميا متكاملا حيث أهلتهم المعرفة التاريخية لمتابعة المسار التاريخي والاجتماعي والثقافي والحضاري للظاهرة منذ نشأتها ونموها وأهم مراحلها التطورية وكذا تغيراتها ضمن النسق الاجتماعي والثقافي والجغرافي والبشري الذي شهد ميلادها ونموها وتطورها واستمرارها وانقراضها.

تاسعا / علاقة الأنثروبولوجيا باللسانيات:

أصبحت استعانة الأنثروبولوجيا باللسانيات ضرورة معرفية ومنهجية ملحة وذلك لما قد يجده الباحث الأنثروبولوجي في الدراسات اللسانية من أدوات وتقنيات مفيدة له والتي تشكل محطة أساسية لا بد من المرور عبرها من أجل اقتحام البناء الاجتماعي و الثقافي والعقائدي للشعوب، فاللغة هي جزء هام من ثقافة أي شعب وميوله واتجاهاته الفكرية العامة بل هي تقيس تطوره الفكري والاجتماعي.[2]

كما تلعب اللغة والدراسات اللغوية دورا هاما في تدعيم البحث الأنثروبولوجي حيث تمكنه من جمع وتسجيل العناصر الثقافية والتي تنتقل من جيل إلى آخر هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المعرفة اللغوية تبقى أساسية وضرورية للباحث الميداني الذي يبقى مطالبا بمعرفة لغة الأهالي من أجل الاتصال معهم ومعرفة أشكالهم التعبيرية من أغاني وحكايات وأساطير وأمثال وحكم وألغاز وأشعار ونكت، معرفة مباشرة دون اللجوء إلى الدليل والمترجم.[3]

---

[1]– هالة منصور، **محاضرات في علم الأنثروبولوجيا**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000 ، ص 47.

[2]– محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص 23.

[3]– نفس المرجع، ص 23– 24

إن علاقة البحث الأنثروبولوجي باللغة هي علاقة غنية ومفيدة ومثمرة فبالإضافة إلى ما قد يستفيد منه الأنثروبولوجي من مناهج وتفنيات من العلوم اللغوية، فالعلاقة تظهر جلية إذا اعتبرنا أن اللغة تعد أحد أهم العناصر المشكلة للثقافة، كما أنها في نفس الوقت الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط الثقافية وسماتها، لهذا اعتمد الأنثروبولوجيون على اللغة في تفسير الظواهر الاجتماعية. حيث أن الثقافة تدرس بواسطة دراسة اللغة. فقد تفيد اللغة أيضا كوسيلة معرفية لاقتحام عمق المجتمعات والثقافات، حيث يمكن أن يحقق الأنثروبولوجي فهما دقيقا لمجتمع معين من خلال التركيز على المعاني التي تختفي وراء كلمات وعبارات ذات دلالات معينة. فعن طريق التأمل في المعاني المتضمنة في تلك العبارات يستطيع الباحث أن يترجم الثقافة التي يدرسها وأن يفهم الأنماط الدافعية التي يمكن اكتشافها عن طريق التركيز على الرموز المتضمنة في الأشكال المختلفة من الخطاب اليومي والأنشطة أو الأفعال المرتبطة بها.[1]

ويعد ماليونفكسي رائد في هذا المجال إذ دعا إلى " نظرية انثرولغوية" في مقاله الشهير **''مشكلة المعنى في اللغات البدائية''**. وعلى أساس العلاقة بين اللغة والثقافة، ظهر فرع يعرف بـ " اللسانيات الأنثروبولوجية" والذي يعرف بأنه العلم الذي يدرس اللغة وعلاقتها بالبيئة الثقافية التي تنشأ فيها، والدور المميز الذي تقوم به كوعاء للثقافة. وتبحث الأنثروبولوجيا اللغوية في المجالات التالية:

- **علاقة اللغة بالثقافة:** أي أننا نتعرف على ثقافة شعب من خلال لغته.
- **اللغات البدائية:**
- **البحث في أصل اللغات:** البحث في أصول اللغات والتشابه بينها، ثم تقسيمها إلى عائلات لغوية.
- **دراسة اللهجات المحلية:** وعلاقتها باللغة الأم.

عاشرا/ علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب:

تعد النصوص الأدبية محط اهتمام مختلف تخصصات العلوم الإنسانية كونها ذات محمول ثقافي واجتماعي، ومعرفي واسع يشمل العادات، والقيم والطقوس الدينية، والعلاقات الاجتماعية وأساليب العيش...الخ. على اعتبار أن الأدب من أهم الوسائل التعبيرية التي لجأت إليها الشعوب للتعبير عن واقعها، والتعريف بجوانب حياتها.

[1] – نفس المرجع ، ص 24

فالقول إن العمل الأدبي علامة ثقافية، هو كذلك الاعتراف له بالقدرة على التلفظ، وعلى تحديد ملامح خصوصية الثقافة التي يندرج فيها ومُدوّن بها. **فالنص الأدبي هو بمثابة النص الإثنوغرافي الذي يرتكز عليه الأنثروبولوجي في كتابته، ويتخذ من هذا العمل الأدبي موضوعا**، مثله مثل الواقعة أو الحدث الثقافي والاجتماعي، من خلال بسط أبعاده الأنثروبولوجية للدراسة والتحليل.

وهذا معناه أن هناك مساحة مشتركة بين الدراسة الأنثروبولوجية والابداع الأدبي، حيث تكمن ثمرة التأثر والتأثر المتبادل بين الأنثروبولوجيا والأدب في أنهما يستمدان العناصر الأساسية لمجاليهما من المجتمع والواقع المعيشي، فالظواهر الثقافية والاجتماعية هي محور اهتمام الأنثروبولوجي، وهي الظواهر نفسها التي تمثل مصدر إلهام للمبدع في عمله الأدبي.

حادي عشر / علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا:

تهتم **الجيولوجيا** بدراسة بنية الأرض. وتساعد الدارسات الجيولوجية التاريخية في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها كل نموذج من أنواع الجنس البشري، نظرا لوجود البقايا العظمية للأسلاف، على شكل بقايا **مستحاثة** وبالتالي تساعد هاته المستحاثات في التعرف على الحقب الزمنية التي عاش بها هذا الإنسان وكذا معرفة الحيوانات التي كانت موجودة و معرفة ظروف الطقس والمناخ السائد خلال تلك الفترة.

" كما تفيد **الجغرافيا** من خلال النواحي الطبيعية من تضاريس ومياه ومناخ في التأثير على حياة الإنسان بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد فيها تللك المجتمعات، فسكان الجبال يكونون في مأمن من الأخطار الخارجية، بينما يتعرض سكان السهول دوما إلى الغزوات ويكون سكان السواحل أكثر انفتاحا في علاقاتهم مع العالم الخارجي، عكس المناطق الداخلية "

فالبيئة الجغرافية حسب **ابن خلدون** " بعواملها الطبيعية والتضاريسية، والمناخية، والحيوية، تلعب دورا حاسما في تحديد وتباين أمزجة البشر وسلوكهم من بيئة لأخرى، كما أن ابن خلدون يرجع اختلاف لون البشرة إلى تأثير المناخ (البرد / الحر)، مشيرا أيضا إلى إمكانية تعديل البيئة للصفات الوراثية بمرور الزمن. وربط أيضا اختلاف المظهر الفيزيولوجي وبعض السلوكات والممارسات واختلاف الصنائع حينما قارن بين سكان البدو والحضر.

المحاضرة الرابعة

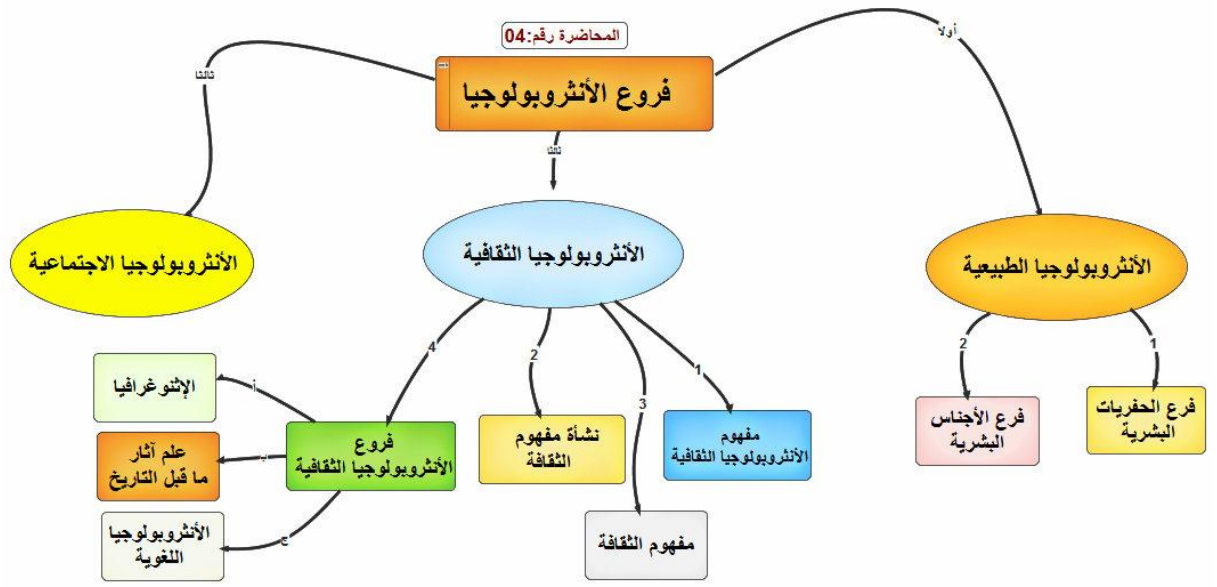
فروع الأنثروبولوجيا

المحاضرة الرابعة

فروع الأنثروبولوجيا

تمهيد:

تتعدد تقسيمات الأنثروبولوجيا وفقا للمكان والزمان، وتبعا للتأثر بنظريات وسياقات معينة مثلما هو عليه الحال عند استخدام تسمية الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدلا من الأنثروبولوجيا الثقافية في بريطانيا نتيجة للتأثر بالنظرية الوظيفية لدى بعض الأنثروبولوجيين مثل " رادكليف براون"، مقابل استخدام مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية للدلالة على ذلك الفرع من الأنثروبولوجيا الذي يعنى بالجانب الاجتماعي والثقافي لدى الإنسان في أمريكا، وفي مقابل هذا يحظى جانب آخر له صلة بالعلوم الطبيعية باهتمام الأنثروبولوجيين وهو الجانب الطبيعي والبيولوجي للإنسان، لترسخ الأنثروبولوجيا أهمية هذا القسم الذي أصبح يدعى بالأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيقية)، وبهذا وعلى وجه الإجمال يصبح للأنثروبولوجيا ثلاثة أقسام رئيسية هي الأنثروبولوجيا الطبيعية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الثقافية.



أولا/ الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعيّة):

الأنثروبولوجية الفيزيقية / الطبيعية هي أقدم فروع الأنثروبولوجيا وقد ظهرت بشكل مميز في أواخر ق18 وبداية ق19، تحت تأثير المدرسة الداروينة، ويرتبط هذا الفرع بمجموعة من العلوم الطبيعية خاصة علم التشريح وعلم وظائف العظام، والبيولوجيا وغيرها....[1]

وقد تعددت أسماؤها فمن أنثروبولوجيا بيولوجية إلى أنثروبولوجيا فيزيقية أنثروبولوجيا طبيعية، غير أن الشائع في اللغة العربية هو اسم الأنثروبولوجية الفيزيقية والذي أراده الأنثروبولوجيون تعريبا لمصطلح Anthropologie physique .[2] وجميع هذه التسميات يشير إلى معنى واحد، إذ سميت بالعضوية لخوضها في طبيعة وتطور أعضاء الجسد الإنساني وتغيره وفق التراكم الزمني، وسميت بالبيولوجية لارتباطها الأكبر ببيولوجية الإنسان والطبيعية لأنها تبحث عن طبيعة التطور الإنساني الجسدي من حيث السمات الشكلية واللون والوراثة، وما تلك التسميات المختلفة إلا إشارة لتراكم المعرفة التي تدل على كثرة التنقيب في هذه الفروع المعرفية والتي تحاول أن تزيد من رصيد التطور الأنثروبولوجي على مستوى العلم الإنساني.

إن الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية هي مجال في الأنثروبولوجيا يحاول أن يبحث في أصل الإنسان، باعتباره نوعًا ينتمي إلى الجنس، والبحث كذلك في الطبيعة وفي مفهوم التطور والأسباب والعلل التي تتحكم في الاختلافات البيولوجية عند الإنسان ومقارنته بالأنواع الأخرى من الكائنات الحية.[3]

ويدرس هذا الفرع أيضا التطور الإنساني والسمات البيولوجية وتنوعاتها المختلفة والسلالات البشرية وأنواعها وعلاقتها بأنماط السلوك والتفكير والتنوعات الوراثية بين الأفراد وصور التباين الطبيعية في مجموعات الدم وفصائله والملامح الفيزيقية للإنسان كلون الشعر والعينين ولون البشرة وشكل الجمجمة أو الرأس والقياسات الجسمية.[4]

إنّ الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا العضوية (الفيزيائية) هو الاختلاف البيولوجي الذي يطرأ على الكائن الإنساني في الزمان والمكان .. والشيء الذي ينتج غالبية هذه الاختلافات، هو اتحاد المقومات الوراثية مع البيئة .. فثمّة تأثيرات بيئية لها صلة مباشرة

---

[1] – حسين عبد الحميد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجال النظري**، مرجع سبق ذكره، ص: 58

[2] - Michel panoff-et Michel Perrin, **Dictionnaire de l'ethnologie**, Paris, Ed. Petite bibliothèque, 1973, p25

[3] – مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، 115.

[4] – سمير سعيد حجازي، مرجع سبق ذكره، ص 16.

بهذا الموضوع، مثل: الحرارة، البرودة، الرطوبة، أشعة الشمس، الارتفاع، والمرض..). ولا بدّ من الإشارة هنا، إلى أنّ الألمان يعتبرون (**يوهان بلومينياخ**) المؤسّس الأول للأنثروبولوجيا الطبيعيّة. فهو من الروّاد في دراسة الجماجم البشرية، كما أنّه قسّم الجنس البشري إلى خمسة أقسام (سلالات)، هي: القوقازي، المغولي، الأثيوبي، الأمريكي، والملاوي.

كما تهتم الانثروبولوجيا العضوية بإعادة بناء التاريخ التطوّري للنوع الإنساني، ووصف (تفسير) التغيرات التي كانت السبب في انحراف النوع الإنساني، عن السلسلة التي كان يشترك بها مع صنف الحيوانات الرئيسة، حتى اكتسب الصفات والخصائص السلالية والوراثية التي تميزه. حيث تهتم الأنثروبولوجيا الطبيعية بالمقارنة بين الأنواع الإنسانية والقرود العليا مثل الشمبانزي والغوريلا أو العلاقة بين البشر الحديث والأسلاف ومقارنة الأجناس البشرية الآن مع الميت من القدماء بحيث تشكَّلت للخوض في بيولوجية الإنسان من حيث التركيب العضوي لها والوظائف ومقارنتها بأنواع السلالات الحيوانية من القردة من حيث التشابه في بعض الوظائف والتركيبات. [1]

ومن بين ما تركز عليه الأنثروبولوجيا الطبيعية كذلك، هو التكيف البشري والطب الشرعي وأيضا تركيزها على الجينات الوراثية كنوع آخر من الأنثروبولوجيا الطبيعية، بحيث يحاول هذا الفرع المعرفي تتبع الطفرات الوراثية الخاصة بالإنسان وكيف كانت طبيعتها وكيف تطورت وعلى أي أُسس قد تغيرت وهل ما زالت تحتفظ بالكثير من سماتها في العصور الحديثة ،و ما هي التغييرات التي تطرأ من جراء هذه الانتقالات الوراثية عند الجنس البشري، ويتم ذلك من خلال التنقيب عن البيئات التي كانت تعيش فيها الأجناس البشرية في السابق وكيف ساهمت في انقراض هذه السلسلة الوراثية أم ساعدت في استمراريتها. ومن بين الأمور التي تعمل عليها الأنثروبولوجيا الطبيعية أيضا هو تركيزها على كيفية اختلاف الصفات الجسدية للسكان في جميع أنحاء العالم، ويسمى ذلك بالاختلاف الإنساني، وعلى النقيض من علماء الأحياء، فإن علماء الأنثروبولوجيا الطبيعية يدرسون كيف أن الثقافة والبيئة تؤثر على التطور البيولوجي للإنسان ويبرز من خلال ذلك دقة هذا الفرع المعرفي في استخلاص النتائج البحثية دون دمجها مع نتائج الفروع المعرفية الأخرى، عن طريق التركيز على متغيرات تؤثر في تطور وتغيير وظائف الأعضاء والصور الجسدية للإنسان.[2]

ويمكن تقسيم الانثروبولوجيا الطبيعية حسب طبيعة الدراسات إلى فرعين رئيسيين هما:

[1] مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، ص 114- 115.

[2] - نفس المرجع، 115-116.

1. فرع الحفريات البشرية:

ويتناول بالدراسة الجنس البشري منذ نشأته مرورا بمختلف مراحله التطورية من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار، والهدف من هذا الفرع هو محاولة معرفة حياة الإنسان البائد من خلال البقايا والآثار التي تدل عليه.

ويحاول العلماء الذين يدرسون هذا الفرع، الإجابة عن العديد من التساؤلات التي تدور حول موضوع الإنسان، وكيفيّة ظهوره على الأرض، ومن ثمّ كيف اختلفت الأجناس البشرية، بفصائله وسلالاتها وأنواعها. وكيف تغيرّ الإنسان وتطوّرت الحياة على وجه الأرض إلى أن وصلت شكلها الحالي المعاصر.

2. فرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية:

وهو العلم الذي يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي (المنقرض) والإنسان الحالي، من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية العامة. ولذا كرّس علماء الأجسام معظم جهودهم لدراسة الأصناف البشرية ورصد الفروقات بينها، ومحاولة معرفة الأسباب المحتملة لهذه الفروقات. ويلاحظ أنّ اهتمامهم انصبّ – إلى عهد قريب جدّاً – على تصنيف الأجناس البشرية المختلفة على أساس العرق، وإيجاد العلاقات المحتملة بين هذه الأجناس. وعلى هذا الأساس، فإنّ فرع الأجناس البشرية، يدرس التغيّرات البيولوجية التي تحصل بين مجموعات إنسانية في مناطق جغرافية مختلفة، على أساس تشريحي ووراثي، وذلك من خلال المقارنة مع الهياكل العظمية للإنسان القديم، والموجودة في المقابر المكتشفة حديث اً. وهذا ما ساعد العلماء كثيراً، في وضع التصنيفات البشرية على أسس موضوعية وعلمية، يمكن الاعتماد عليها في دراسة أي من المجتمعات الإنسانية.

ثانيا/ الأنثروبولوجيا الثقافية:

1. مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية:

الأنثروبولوجيا الثقافية أو علم الأناسة الثقافيL'anthropologie Culturelle ، هو ذلك الفرع الرئيس من الأنثروبولوجيا، الذي يضطلع بدراسة مختلف ثقافات الإنسان، فالإنسان على حدّ قول (مالينوفسكي) B. Malinowski في مقالٍ له عن

الثقافةCulture ، هو كائنٌ له شكله الفيزيقي، وتراثه الاجتماعي، وسماته الثقافية.. وهذا التراث أو تلك الثقافة، هو المجال الرئّيس في الأنثروبولوجيا الثقافية.[1]

وتعرفّ الأنثروبولوجيا الثقافية أو علم الإنسان الثقافي _ بوجه عام _ بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينّة، وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكًا يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع المحيط به، يتحلىّ بقيمه وعاداته، ويدين بنظامه، ويتحدّث بلغة قومه. وعليه، فإنّ علم الأناسة الثقافي: هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان، وسلوكاته النابعة من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة.[2]

فعلم الأناسة الثقافي إذن، يهدف إلى فهم (الظاهرة الثقافية) وتحديد عناصرها، كما يهدف إلى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، ويفسّر بالتالي المراحل التطوّرية لثقافة معينّة في مجتمع معينّ.

ويدرس هذا القسم " الثقافة " والمعنى المبسط لذلك المفهوم هو طريقة معيشة مجتمع ما سواء أكان ذلك المجتمع بدائي أو متخلف أو نامي أو متقدم فالأنثروبولوجيا الثقافية هي ذلك الفرع من الأنثروبولوجيا العامة الذي يهتم بدراسة السلوك الإنساني في ماضيه وحاضره، والثقافة تشمل قواعد العرف والعادات والتقاليد والمعتقدات والممارسات وغيرها، وتعتبر هي الوسيلة التي تمكنه من الاتصال بالآخرين سواء جماعته المحلية أو الجماعات الأخرى المحيطة بمالها من خصائص اجتماعية في بيئتها الطبيعية المتباينة ولذلك كان أحد أهداف الأنثروبولوجيا الثقافية دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي، بالإضافة إلى الاهتمام بتاريخ هذه الثقافات وأصولها ونموها وتطورها.

وتعرف الأنثروبولوجيا الثقافية أيضا بأنها العلم الذي يبحث في سلوك الإنسان وأعماله الناتجة عن ثقافته، ويهتم هذا الفرع بدراسة أصول الثقافة الانسانية وتاريخها وتطورها ونموها، كما يدرس أيضا بناء ووظائف الثقافات الانسانية في كل زمان ومكان، وبذلك فإنه يهتم بدراسة الثقافة في ذاتها سواء أكانت هذه الثقافة تنتمي إلى الإنسان البدائي الذي عاش خلال العصر الحجري أو ثقافة الانسان المتحضر الذي يحيا الحضارات المعاصرة. وعلى هذا الأساس يدرس هذا العلم الثقافة بجانبيها المادي والمعنوي. [3]

---

[1] – محمد إسماعيل قباري، **أسس علم الإنسان _ الأنثروبولوجيا**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1980، ص 18-19.

[2] – رالف بيلز وهاري هويجر، **مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة**، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، القاهرة دار النهضة المصرية، 1977، ص21.

[3] – سمير سعيد حجازي، مرجع سبق ذكره، ص 16

ويبدو أنه من المهم ان نخصص جانبا للحديث عن الثقافة باعتبارها موضوع محوري في علم الانسان

2. نشأة مفهوم الثقافة:

إذا أردنا فهم المعنى الحالي لمفهوم الثقافة واستعماله في العلوم الاجتماعية من الضروري أن ندرس تطورها الدلالي عبر التاريخ وأصلها الاجتماعي. وبالتالي فإن ما نقوم به ليس تحليل لغوي للكلمة، وإنما محاولة أن نعرف كيف تكونت هذه الكلمة وكيف تطورت فكرتها من خلال المراحل التاريخية التي مرت بها والأفكار التي ارتبطت بها حتى تم الوصول إلى ابتداع المفهوم العلمي الذي هي عليه الآن[1]. فما هي مراحل تطور كلمة ثقافة عبر التاريخ؟

أ– تعود جذور كلمة culture إلى اللفظ اللاتيني Cultura الذي يعني حرث الأرض وزراعتها، وقد ظلت اللفظة مقترنة بهذا المعنى طوال العصرين اليوناني والروماني، حيث استخدمها شيشرون مجازاً بالدلالات نفسها، فقد أطلق على الفلسفة Mentis Culture أي زراعة العقل وتنميته، مؤكداً أن دور الفلسفة هو تنشئة الناس على تكريم الآلهة.

ب– في أواخر القرن 13: ظهرت منحدرة من كلمة لاتينية Cultura وتعني العناية بالحقل والماشية.

ج– بداية القرن 16: تطورت الكلمة فبعد أن كانت تدل على حالة الأرض المحروثة أصبحت تدل على الفعل وهو حراثة الأرض.

د– منتصف القرن 16: تكون المعنى المجازي للكلمة فأصبحت كلمة ثقافة تشير إلى تطوير كفاءة ... أي الاشتغال بإنمائها. ولكن ذلك المعنى المجازي ظل غير دارج بكثرة حتى منتهى القرن 17 ولم يحز على اعتراف أكاديمي، إذ لم يدرج ضمن مواد أغلب قواميس تلك الفترة.[2]

هـ– القرن 18:

أ/ بدأت كلمة ثقافة تفرض نفسها في معناها المجازي أي المعنى الدال على ثقافة الفكر. (وتحول المعنى من تهذيب الأرض إلى تهذيب العقل) ودخلت بمعناها هذا قاموس الأكاديمية الفرنسية ونشر عام 1718، حيث أفردت مقالة كاملة عن معنى من معانيها القديمة وهي "فلاحة الأرض" ولم يهمل معناها المجازي في مقالات أخرى وأخذت العناوين التالية: تربية، فكر، آداب،

[1]– فائزة التونسي، **محاضرات في الفرد والثقافة**، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي – الأغواط، 2020، ص 1.

[2] –نفس المرجع، ص 2.

علوم، بحيث كانت تُتبع كلمة ثقافة بمضاف يدل على موضوع الفعل، فيقال: ثقافة الآداب ... ثقافة الفنون ... ثقافة العلوم وهكذا.

ب/ تحررت كلمة ثقافة تدرجيا من علاقتها بالمضاف لينتهي بها الأمر لاستعمالها منفردة لتدل على تكوين الفكر وتربيته.

و- القرن 19: اختلف تطور الكلمة في هذا العصر اختلافا كثيرا، فقد ساد نوع من الانبهار والافتتان إزاء الفلسفة والآداب الألمانية التي كانت في عز تألقها، مما ساهم في توسيع فهم الكلمة، وأكسبها " بعدا جماعيا"، فهي لم تنسب إلى التطور الفكري للفرد فحسب بل أصبحت تنسب إلى التطور الفكري لجماعة بشرية معينة، فظهرت تعبيرات من مثل " ثقافة فرنسية" و"ثقافة ألمانية" و..... وهنا تقترب كلمة " ثقافة" من كلمة "حضارة" كثيرا، ولطالما استخدمت احداهما لدلالة على الأخرى.

3. مفهوم الثقافة.

أ- لغة:

إن كلمة ثقافة بالفرنسية (Culture) مشتقة من اللاتينية (Cultura) وتعني العناية بالأرض أو الزراعة. وأما اصل الثقافة في اللغة العربية فهو مأخوذ من الفعل ثَقُفَ وللفعل ثَقُفَ معاني كثيرة كما هي في القواميس العربية ومن هذه المعاني:

أ- الحذق والفطنة نقول: ثَقِفَ الرجل أي اصبح حذقا فطنا.

ب- سرعة اخذ العلم وفهمه نقول: ثَقِفَ الطالب المعلم أي: فهمه بسرعة.

ج- التهذيب والتأديب: نقول: ثَقَّفَ المعلم الطالب: أي هذبه وأدبه .

د- تقويم العوج من الأشياء نقول: ثقّف الصانع الرمح: أي سوى اعوجاجه .

هـ- ادراك الشيء والحصول عليه: في قول الله تعالى: {واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم} حيث ذكر القرطبي في تفسيره ان ثقف في الآية الكريمة تدل على الأسر والظفر بالعدو.

ب–الثقافة اصطلاحا:

مفهوم الثقافة في الاصطلاح أوسع من معناها اللغوي ومن الصعوبة أن نجد لها تعريفا جامعا مانعا، ويرجع ذلك إلى اختلاف مجالات الدراسة أو اختلاف اهتماماتها سواء كانت تاريخية أو فلسفية أو نفسية أو اجتماعية أو انثروبولوجية. وقد ذكر صالح ذياب هندي في كتابه دراسات في الثقافة الإسلامية أسباب الاختلاف في تعريف الثقافة وهي: اهتمام وتخصص صاحب التعريف، واختلاف المدارس والاتجاهات الثقافية في العالم حول تعريف الثقافة.

وقد أشار مالك بن نبي إلى مدارس الثقافة وهي: المدرسة الغربية الرأسمالية، والتي ترى أن الثقافة انعكاس لفلسفة الفرد وفكره .والمدرسة الماركسية التي ترى أن الثقافة انعكاس لفلسفة المجتمع. والمدرسة الإسلامية التي ترى أن الثقافة انعكاس لفلسفة الفرد والمجتمع في آن واحد. وفيما يلي نورد بعض التعريفات التي عرفت بها الثقافة :

- يعتبر الأنثروبولوجي الإنجليزي المعاصر إدوارد تايلر أو من وضع تعريف للثقافة في كتابه الثقافة البدائية عام 1874، ويعتبر من أكثر تعاريف الثقافة شيوعا. يقول: " الثقافة أو الحضارة بمعناها الاثنوجرافي الواسع، هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع. "[1]
- أما الأنثروبولوجي الأمريكي المعاصر رالف لينتون فقد عرف الثقافة بأنها " تجسيد لتلك السلوكات المكتسبة والموزعة التي تنتقل وتتوارث من قبل أعضاء مجتمع ما ".[2]
- يعرفها مالينوفسكي بأنها: (تشمل المهارات الموروثة، والأشياء، والأساليب أو العمليات الفنية، الأفكار والعادات والقيم.)[3]
- ويعرفها معجم المجمع الفرنسي – الذي ناقش كلمة "Culture " ومفهومها في جلسة خاصة بالمعجم بتاريخ 4 يونيو (حزيران) 1972 م " بأنها تطلق بالمعنى المجرد العام في مقابل كلمة " طبيعة "، فهي العبقرية الإنسانية مضافة إلى الطبيعة بغية تحرير عطاءاتها وإغنائها وتنميتها".[4]

---

[1]- Tylor.E. B, Primitive Culture, 1871,Fifah Edition ,1913 , P 1

[2] – دوني كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة: قاسم المقداد، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002

[3]– محمد عباس ابراهيم، **العولمة والثقافة**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2013، ص: 88

[4] – واكد رابح، **دروس ومحاضرات مقياس فرد وثقافة**. https://cutt.us/qXtu4

- ويعرفها هربرت سبنسر بأنها " العالم فوق العضوي "
- وبالنسبة لـ ماكيون فيرى أن الثقافة هي: " القيم، المعتقدات، السلوك، والأشياء المادية التي تشكل معا طريقة حياة الناس.
- وبالنسبة لـ بول هوتون فهو يعرف الثقافة بأنها " نسق من المعايير والقيم "
- أما كلباتريك فيرى أن الثقافة هي كل ما صنعته يد وعقل الإنسان.
- تعريف ابن خلدون: " العمران الذي هو من صنع الانسان بما قام به من جهد وفكر ونشاط ليسد به النقص بين طبيعته الأولى، وخاصة في بيئته حتى يعيش معيشة عامرة زاخرة بالأدوات والصناع"
- مالك بن نبي: " الثقافة هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا النحو هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته.[1]

4. فروع الأنثروبولوجيا الثقافية:

والأنثروبولوجيا الثقافية تعطي مجالا واسعا من المعرفة الإنسانية، لهذا فهي تنقسم إلى عدة فروع منها :

أ- الإثنولوجيا (علم الثقافات المقارن)Ethnologie :

كلمة الإثنولوجيا ذات أصل يوناني " إثنوس Ethnos بمعنى دراسة الشعوب ولذلك فهي تدرس خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية أي دراسة للصفات والخصائص المميزة لأجناس الإنسان من حيث الملامح الفيزيقية والخلقية السائدة بين بني البشر وكذلك العلاقات القائمة التي تربط بين الأجناس والشعوب.

إن موضوع الإثنولوجيا الرئيسي هو الثقافة أي أنها تركز على دراسة سلوك الإنسان أينما وجد، ومن ثم فإن الإثنولوجيون يستهدفون تسجيل الأشكال والأنماط السلوكية في أي مكان سواء كان المجتمع بدائيا أو متحضرا بغية الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية .

من جهة أخرى تهتم الإثنولوجيا بمشكلة تفسير أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الثقافات الإنسانية. فهي تختص بدراسة ثقافة المجتمعات الموجودة وقت الدراسة، وكذلك الثقافات التي انقرضت بشرط توافر تسجيلات مكتوبة لشهود عاشوا في تلك

[1] – مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1986، ص 89.

الثقافات والهدف الإثنولوجي من تلك المقارنات الوصول إلى قوانين عامة لظاهرة التغير الثقافي وآثار الاتصال بين الثقافات، وتهدف أيضا إلى تصنيف الثقافات إلى مجموعات وأشكال وأنماط ثقافية معينة. لذلك تعرفّ الإثنولوجيا بأنّها: دراسة الثقافة على أسس مقارنة وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بقصد استنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطوّرها، وأوجه الاختلاف فيما بينها، وتحليل انتشارها تحليلا تاريخياً.[1]

وتعتمد الإثنولوجيا في تفسير توزيع الشعوب ــ في الماضي والحاضر ــ على أنهّ نتيجة لتحرّك هذه الشعوب واختلاطها، وانتشار الثقافات التي ترجع إلى كثرة الحوادث المعقّدة، التي بدأت مع ظهور الإنسان، فهي تبحث مسألة المصادر التاريخية للشعوب، من أين أتت قبائل الهنود الحمر –مثلاً– ؟ وأي طريق سلكت؟ ومتى احتلتّ هذه الشعوب المناطق الموجودة فيها؟ وكيف؟ ومن أيةّ جهة تسللّت إلى أمريكا؟ وكيف انتشرت فيها؟ ومتى ظهرت أجناس الهنود الحمر؟ وما هي الميزات اللغّو ية والملامح الثقافية التي نشرتها ثقافة الهنود الحمر، قبل احتكاكها بالثقافة الأوروبية؟ وغير ذلك مماّ يفيد في الدراسات الوصفيةّ المقارنة للمجتمعات الإنسانية وثقافاتها.[2]

ومن ميزات الإثنولوجيا، أنّها تعتمد عمليتي التحليّل والمقارنة، فتكون عملية التح ليّل في دراسة ثقافة واحدة، بينما تكون عملية المقارنة في دراسة ثقافتين أو أكثر، وتدرس الإثنولوجيا الثقافات الحيةّ (المعاصرة) والتي يمكن التعرفّ إليها بالعيش بين أهلها، كما تدرس الثقافات المنقرضة)البائدة(بواسطة مخلفّاتها الأثرية المكتوبة والوثائق المدوّنة، وتهتم إلى جانب ذلك، بدراسة ظاهرة التغيّر الثقافي من خلال البحث في تاريخ الثقافات وتطوّرها.[3]

ب–الإثنوغرافيا:

اتفق معظم العلماء على إطلاق اصطلاح " اثنوجرافيا " على الدراسات التي تقتصر على وصف ثقافة مجتمع ما (أي الدراسة الوصفية – في الميدان – للمجتمعات الإنسانية)، وإطلاق اصطلاح " إثنولوجيا " على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة، فالإثنولوجي يهتم بالمقارنة بين الثقافات التي تصفها "الإثنوغرافيا"، ويهدف الإثنولوجي من تلك المقارنات إلى الوصول لقوانين عامة حول الثقافة.

[1]– كلايد كلوكهون، **الإنسان في المرآة**، ترجمة: شاكر سليم، بغداد، 1964، ص31.

[2]– حسين عبد الحميد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجال النظري**، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1988، ص81.

[3]– عاطف وصفي، **الثقافة والشخصيةّ**، مرجع سبق ذكره، ص30.

ج- علم الاركيولوجي (علم آثار ما قبل التاريخ) Archéologie:

تشتق كلمة أركيولوجيا من اليونانية Archaios بمعنى قديم، و Logia بمعنى دراسة أو علم، وعلى هذا الأساس يعني المعنى الحرفي للكلمة (دراسة القديم).[1]

والأركولوجيا هو العلم الذي يعُنى بشكل خاص بجمع الآثار والمخلفّات البشرية وتحليّلها، بحيث يستدلّ منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثمةّ وثائق مدوّنة (مكتوبة) عنها.

وتشير الأركيولوجيا في معناها العام إلى اكتشاف وتحليل وتفسير الثقافات المادية أو البقايا المادية القديمة، بغرض تفسير السلوك البشري، فالثقافة المادية تختص بالمظاهر الفيزيقية للأنشطة البشرية وهي المظاهر المتمثلة على سبيل المثال في الآلات والأدوات والفخار والمباني والأوعية المدفونة وغيرها، فهذه البقايا والوضع الذي كانت عليه حين اكتشافها من شأنهما توفير الدلائل والمعلومات التي تعين الأركيولوجين على وضع الفروض المتعلقة بالسلوك البشري. فالهدف من الأركيولوجية هو إعادة بناء الحياة الاجتماعية لجماعات ما قبل التاريخ وتحديد تتابع التغير النسقي على مر العصور.

ويبحث هذا الفرع من علم الأناسة الثقافي، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيّما الثقافات المنقرضة، ولعلّ علم الآثار القديمة أكثر شيوعاً بين فروع الأنثروبولوجيا، وربّما كانت مكتشفاته مألوفة لدى الشخص العادي أكثر من مكتشفات الفروع الأخرى، ومثال ذلك أنّ اسم (توت عنخ آمون) أحد ملوك قدماء المصريين، يكاد يكون معروفاً لدى الأوساط الشعبية العامة.

ومع أنّ الهدف القريب الواضح للأبحاث (الأركيولوجية)، هو استكمال معارفنا ومعلوماتنا عن ماضي الإنسان، فإنّ الهدف النهائي هو مساعدتنا في تفهّم العمليات المتصّلة، بنمو الحضارات وازدهارها وانهيارها، وإدراك العوامل المسؤولة عن هذه الظواهر التاريخية، وقد أصبحت نتائج الدراسات الأركيولوجية المتصّلة بعمليات التطوّر، مألوفةً لدى العلماء الأنثروبولوجيين، الذين يعنون بدراسة ظواهر التغيّر الثقافي.[2]

[1]- محمد عباس إبراهيم وآخرون، **مدخل إلى الأنثروبولوجيا**، مرجع سبق ذكره، ص28.

[2]- رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، مرجع سبق ذكره، ص ص22- 24.

د- الأنثروبولوجيا اللغوية:

تعتبر دراسة اللغويات[1] مدخلا هاما في فهم شكل الحياة الاجتماعية والثقافية في أي مجتمع، لأن اللغة هي شكل من أشكال الثقافة أو عنصرا هاما من عناصر الثقافة، كما أنها في نفس الوقت الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط الثقافية وسماتها، لهذا اعتمد الأنثروبولوجيون على اللغة في تفسير الظواهر الاجتماعية. حيث أن الثقافة تدرس بواسطة دراسة اللغة.

واللغّة واحدةٌ من الصّفات التي يتميّز بها الكائن الإنساني عن غيره من الكائنات الحيةّ الأخرى، فهي طريقة التخاطب والتفاهم بين الأفراد والشّعوب، بواسطة رموز صوتية وأشكال كلامية متفّقٍ عليها، علاوة على أنّها وسيلة لنقل التراث الثقافي_ الحضاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغّات في كتابة هذا التراث.

ويدرس علماء الأناسة الثقافية اللغّة في سياقها الاجتماعي والثقافي (في المكان والزمان)، ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلقّ بالمقوّمات العامّة للغّة وربطها بالتماثلات الموجودة في الدماغ الإنساني، ويقوم آخرون بإعادة بناء اللغّات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحدّرات عنها في الوقت الحاضر، ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغّة.

ويعد ماليونفكسي رائد في هذا المجال إذ دعا إلى " نظرية انثرولغوية" في مقاله الشهير **''مشكلة المعنى في اللغات البدائية''**. وعلى أساس العلاقة بين اللغة والثقافة، ظهر فرع يعرف بـ " اللسانيات الأنثروبولوجية" والذي يعرف بأنه العلم الذي يدرس اللغة وعلاقتها بالبيئة الثقافية التي تنشأ فيها، والدور المميز الذي تقوم به كوعاء للثقافة. وتبحث الأنثروبولوجيا اللغوية في المجالات التالية:

- **علاقة اللغة بالثقافة:** أي أننا نتعرف على ثقافة شعب من خلال لغته.
- **اللغات البدائية:**
- **البحث في أصل اللغات:** البحث في أصول اللغات والتشابه بينها، ثم تقسيمها إلى عائلات لغوية.
- **دراسة اللهجات المحلية:** وعلاقتها باللغة الأم.

[1] - **علم اللغّويات linguistiques**: هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغّات الإنسانية (المنقرضة والحيةّ)، ولا سيّما المكتوبة منها في السّ جلات التاريخية، كاللاتّينية أو اليونانية القديمة، واللغّات الحيةّ المستخدمة في الوقت كالعربية والفرنسية والإنجليزية.

ثالثا/ الأنثروبولوجيا الاجتماعية Socil Anthropology:

ثمة كثير من العلماء يخلطون بين علم الانسان الثقافي وعلم الإنسان الاجتماعي، ويذهبون إلى أن كلا الاسمين لا يدل إلا على موضوع واحد بعينه. والواقع أن ثمة فرقا بين مجال هذين العلمين، فعلم الانسان الاجتماعي مهتم بالبناء الاجتماعي، بينما يهتم علم الانسان الثقافي بالثقافة ككل، كما يهتم بالمظاهر التكنولوجية للثقافة والفنون. فعلم الانسان الاجتماعي هو إلى حد ما جزء من علم الانسان الثقافي، لأنه يقتصر على دراسة البناء الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي للمجتمعات المدروسة، بينما علم الانسان الثقافي يدرس الثقافة في مجموعها في المجتمع المدروس، والوسائل التكنولوجية والفنون والمعارف والأفكار والمعايير السلوكية والعادات والتقاليد.. فالأنثروبولوجيا الاجتماعية نركز إذا على البناء والتنظيم الاجتماعيين، فمثلا في دراسة الأسرة يدرس كيف تتكون وما هي الفئات التي يحرم بينها مثلا الزواج، وما هي علاقة الزوج بالزوجة في الالتزامات والحقوق، وعلاقتها بالأولاد، وما علاقة أفراد هذه الأسرة بأقارب الزوجة (الأم)، أو أقارب الزوج (الأب)، وهل للتنظيم العائلي علاقة مثلا بالتنظيم الديني أو السياسي... إلى آخر كل ذلك، بينما علم الانسان الثقافي مهتم أكثر بالأسرة من حيث هي جزء من الثقافة الإنسانية وتطورها في المجتمعات المختلفة عبر الأزمنة المختلفة سواء كانت عصورا تاريخية أو عصورا سبقت التاريخ والعوامل التي أدت إلى ذلك التطور، كما يدرس عادات الأسرة والمعايير التي تسير عليها ويقارن بين تلك المعايير ومعايير الانسان في القبائل أو المجتمعات الأخرى.[1]

ونستطيع أن نفرق بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية من حيث أن الأولى مهتمة بالنظم الجامدة المتبلورة وبتراكيبها بينما الثاني مهتم بالأفكار الشائعة والمعايير السائدة في المجتمع والفنون والتكنولوجيا الاجتماعية وما تدل عليه من روح اجتماعي سائد في الجماعة، فمثلا نجد E.Manchip white في كتابه عن علم الإنسان يدرس في الفصل الخاص بعلم الانسان الثقافي ماهية الثقافة، وكيف تنتقل ومقاومة المجتمعات للثقافات الجديدة، وكيف تظهر الأفكار الثقافية الجديدة في المجتمع والفرق أو التضاد بين التجديد أو الإبداع Invention والانتشار في الثقافة، والنظريات المتعلقة بانتشار الثقافات في المجتمعات المختلفة، بينما يدرس في الفصل الخاص بعلم الإنسان الاجتماعي: التنظيم الاجتماعي للأسرة وصورة ونظم الزواج، ونظم العشيرة والمعشر

[1] – حسن شحاتة سعفان، **مرجع سبق ذكره**، ص ص21-22.

والطبقات والفئات الاجتماعية في المجتمع، والأسس التي يقوم عليها النظام الديني وعلاقة ذلك بالسحر، ثم يدرس النظم القانونية ونظم العقوبات[1] والنظم الاقتصادية والسياسية للتعرف على أوجه التكامل والتماثل والاختلاف بين هذه النظم.

وتهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية[2] بدراسة الإنسان من حيث أبعاده الاجتماعية كذات اجتماعية فاعلة ومتفاعلة مع المجتمع بكل محطاته ومظاهره المادية والمعنوية. كما تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بصورة عامة بالأنظمة والعلاقات والبناءات والمؤسسات و الأنشطة الاجتماعية سواء داخل المجتمع الواحد أو ضمن عدد المجتمعات المتشابهة أو التي خضعت لنفس المنطق الاجتماعي وذلك قصد فهم الأبنية الاجتماعية ومدى تأثير في أسلوب حياة الإنسان. وهنا يغور هذا الفرع المعرفي في كلِ ما يحيط الإنسان في المجتمع من نظِم اجتماعية وما تتضمنه ويحاول دراسة التأثير المباشر لها على الإنسان وعلاقاته الاجتماعية وتفاعلاته التي يشكَّل من خلالها أُسس حياته التي يعيش فيها.

كما أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس السلوك الاجتماعي الذي يندرج عادَّة تحت شكل هذه النظم الاجتماعية كالأسرة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والعبادات الدينية والعلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات القديمة أم المعاصرة،

فالسوسيولوجيا قد تمكَّنت من الخوض في هذه النظم الاجتماعية واستطاعت أن تضع لها مرتكزات في كيفية التعامل معها والتوصل من خلالها إلى ما يساعد للحصول على النتائج التي تتطلَّبها دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية المختلفة، وتحاول الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأدواتها البحثية الخوض في الصورة التوصيفية لهذه النظم والأنساق وتصنيفها وفق ما تنطوي عليه صورها بغرض الوصول إلى نتائج تربط بين أشكالها والتغييرات التي تطرأ عليها وأسباب هذه التغييرات والتطورات.[3]

ويمكن القول في الأخير أن الانثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بدراسة الإنسان من نواحي عديدة، ولكنها تركز في المقام الأول على **البناء الاجتماعي** و**الأنساق الاجتماعية**، فهي تهتم بدراسة الإنسان، وتهتم بدراسة **السلوك الاجتماعي** الذي يتخذ في العادة شكلا وأنساقا اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو ما يتصل بذلك من إجراءات قانونية، وعادات دينية وأنشطة ثقافية ... الخ، كما تهتم أيضا بدراسة العلاقة بين تلك النظم، سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية، أو المجتمعات البدائية،

[1] – نفس المرجع، ص ص 22-23.

[2]- Michel panoff-et Michel Perrin, ibid, p71 .

[3]– مازن مرسول محمد، مرجع سبق ذكره، ص 116.

فالأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم أساسا بتحليل البناء الاجتماعي للجماعات الإنسانية، وتوضح أوجه الترابط والتأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية المختلفة.[1]

وحدد السير **جيمس فريزر** الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها محاولة عملية للكشف عما يسميه القوانين العامة التي تحكم الظاهرات، وتفسر ماضي مجتمعات الانسان حتى نتمكن بفضلها أن نتنبأ بالمستقبل.

وتهتم الانثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة أنماط **السلوك الاجتماعي** الذي يتخذ في العادة شكل نظم وانساق اجتماعية، كالعائلة والقرابة والنظام السياسي، والاجراءات القانونية، والعبادات الدينية، بالإضافة إلى دراسة العلاقات المتبادلة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية – أي انها تدرس ما يعرف بالبناء الاجتماعي. [2]

ويعتبر مفهوم **البناء الاجتماعي** مفهوما محوريا في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والنظرية البنائية الوظيفية، وبتحليل هذا البناء يمكن الوقوف على بعض المفاهيم الأخرى التي تحظى بمكانة كبيرة ضمن هذا السياق، ومن هذه المفاهيم مفهوم: المكانة والدور، " فالمكانة هي مركز الشخص بالنسبة لمركز غيره ممن له معهم علاقات اجتماعية مثل: الإبن، الناظر، الزوج...، كذلك يهتم الباحث الأنثروبولوجي بالطريقة التي يحدد بها المجتمع الأدوار التي يقوم بها الناس. .وتتضمن الأدوار مستويات القيادة والأمر والجماعة والطاعة والتعاون. .الخ

وتستند الأنثروبولوجيا الاجتماعية ل" **النظرية الوظيفية** " التي يتزعمها رادكليف براون والتي تتأسس على أن النظم الاجتماعية في مجتمع ما هي نسيج متشابك من العناصر التي يؤثر بعضها في البعض الآخر بما يشكل وحدة كلية تسمح للمجتمع بالبقاء والاستمرار، وما هو جدير بالذكر أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية لا تهتم كثيرا بتاريخ النظم ولكن بتحديد وظيفة النظام الاجتماعي الواحد في البناء الاجتماعي الكلي.[3]

[1]– احمد أبو زيد، **البناء الاجتماعي – الأنساق–**، الجزء الثاني، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967، ص 11.

[2]– حسين عبد الحميد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، مرجع سبق ذكره، ص 66.

[3]– عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافة**، مرجع سبق ذكره، ص 30.

المحاضرة الخامسة

الاتجاهات الأساسية في الأنثروبولوجيا

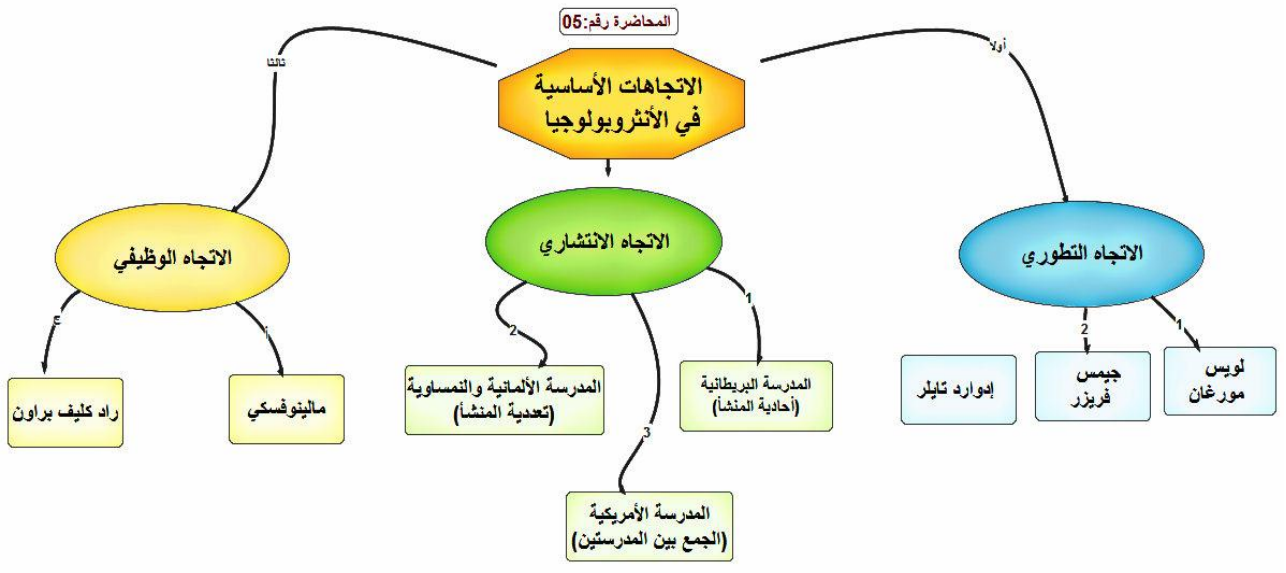
المحاضرة الخامسة

الاتجاهات الأساسية في الأنثروبولوجيا

تمهيد:

تعرف النظرية بأنها نسق من المعرفة المعممة تفسر الجوانب المختلفة للواقع، أو تفسير للعلاقات المتداخلة للظاهرة والهدف من هذه العملية بالطبع هو نفس الهدف الأسمى للعلم وهو التنبؤ، أي توقع الحدث مستقبلا، وتستعمل النظريات من أجل بناء قواعد علمية تستند عليها الدراسات والبحوث التي تساعد في معرفة ظواهر الحياة المختلفة.

والأنثروبولوجيا كغيرها من العلوم قد ارتبطت بمجموعة من الاتجاهات النظرية، فمنذ أن استقرت الأنثروبولوجيا علما قائما بذاته برزت العديد من الاتجاهات تناول الأنثروبولوجيون فيها مختلف الموضوعات الأنثروبولوجية. ولقد كانت نظرية التطور في مجال البيولوجيا والتي أسس دعائمها " تشارلز داروين" ملهما حقيقيا للأنثروبولوجيين الأوائل الذين تناولوا الثقافة والمجتمع بنظرة تطورية، لكن أسس التفسير تعددت باتساع الدراسات في الحقل الأنثروبولوجي وبروز اتجاهات ونظريات اجتماعية لها القدرة على التحليل والتفسير، ولعل أهم الاتجاهات النظرية في الأنثروبولوجيا هي الاتجاه التطوري والانتشاري والوظيفي، وهو ما سنركز عليه في هذ المحاضرة.



أولا/ الاتجاه التطوري:

في بدايات الأنثروبولوجيا كان هَمّ العلماء هو فهم الكيفية التي تنشأ وتتطور من خلالها المجتمعات وثقافتها، فموضوع البحث الأساسي للاتجاه التطوري هو التفسير التاريخي لمختلف المراحل التي مرت بها البشرية من خلال اكتشاف القوانين التي ساهمت في التطور.[1] وكان التطوريون يعتقدون بوجود مسيرة خطية واحدة تسير وفقها المجتمعات من الأشكال البسيطة إلى المعقدة إلى الأكثر تعقيدا. أي أن جميع المجتمعات البشرية تتغير نظمها الاجتماعية، وهي في تغيرها تمر بمراحل تطورية معينة، كل مرحلة منها تمثل انتقال المجتمع من حالة أقل رقيا إلى حالة أكثر رقيا..

❖ **رواده:** كان من أهمهم لويس مورغان، إدوارد تايلر، ماكلنان، وجيمس فريزر، وهنري مين، وسنتعرض باختصار لبعضهم:

1. لويس مورغان (1818-1883):

كان الأمريكي (لويس مورغان) أحد أهم أقطاب هذا الاتجاه من خلال أعماله تركزت حول سكان أمريكا الأصلين، وتكلم عن حياتهم وثقافتهم، خاصة حول القرابة، وهذا من خلال كتابه (أنساق القرابة والمصاهرة للعائلة البشرية) عام 1870، ولهذا فقد كانت القرابة مدخلا رئيسيا لدراسة التطور الاجتماعي، فقد تغيرت مصطلحات القرابة مثلا بصورة بطيئة، وأعطت إشارات لفهم المراحل المبكرة للتطور الاجتماعي.[2]

ومرّ **نظام القرابة** حسب مورغان بالمراحل التالية:

- **المرحلة 01:** ساد فيها الاختلاط الجنسي بين أفراد القطيع البدائي، فكل الإخوة والأخوات والأبناء كانوا أزواجا وزوجات، ولم يكن هناك نظام للمحارم.
- **المرحلة 02:** وهي بداية تحريم الزواج بين الأصول والفروع، مع استمراريته بين الإخوة والأخوات.
- **المرحلة 03:** منع الزواج بين الإخوة من أم واحدة، مع بقاء النسب للأم.
- **المرحلة 04:** وفيها تحول النسب من الأم إلى الأب

[1]- جاك لومبار، **مدخل إلى الإثنولوجيا**، ترجمة: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، 1997، ص64.

[2]- توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**، ترجمة: لاهاي حسين، منشورات ضفاف، العراق/ والاختلاف، الجزائر، 2013، ص37.

➢ **تطور المجتمعات الإنسانية:**

وفي كتابه المجتمع القديم الذي صدر عام 1877 يقر مورغان أن المجتمعات البشرية تمر مراحل تطورية حيث كل مرحلة تشكل نمطا معينا وفقا لمراحل التطور الثقافي، فكل المجتمعات حسب مورغان تخضع لقانون واحد خلال عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وبهذا يصل مورغان إلى أن البشرية تطورت عبر ثلاث مراحل تطورية ولكل مرحلة نمط ثقافي وهذه المراحل هي[1]:

أ- مرحلة التوحش (الهمجية):

ويقسمها إلى ثلاث مراحل وهي:

مرحلة التوحش الدنيا ومرحلة التوحش الوسطى ومرحلة التوحش العليا، ويوضح مورغان أن هناك ارتقاء ثقافي خلال الانتقال عبر كل مرحلة في تقنيات العيش والنظم الاجتماعية. ففي المرحلة الأولى التي يسميها مورغان بمرحلة التوحش الدنيا يكون الإنسان فيها أقرب للحيوان في سلوكياته فنجده هنا مزال يتغذى على الجمع، وفي المرحلة الثانية التي سمها بالوسطى يكتشف الإنسان النار ويستفيد منها في حياته اليومية، وفي المرحلة الثالثة (العليا) يبدأ الإنسان فيها مرحلة الصيد.

ب-المرحلة البربرية

وتنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل : **دنيا ووسطى وعليا**. ففي المرحلة البربرية الدينا يبدأ الإنسان استخدام الفخار وينشأ الجماعات الاجتماعية. وفي المرحلة الثانية (البربرية الوسطى) يكتشف الإنسان المعادن ويبدأ استخدامها، كما يعبر عن واقعه من خلال استخدامه للكتابة الصورية، وفي المرحلة الثالثة (البربرية العليا) ينتقل الانسان إلى الكتابة الحرفية.

ج- المرحلة المدنية (الحضارة) :

وفيها يخترع الإنسان الحروف الهجائية- الكتابة – الفن – الصناعة. وهي مازالت مستمرة.

[1]- نفس المرجع، ص 37.

ويرى مورغان أن هذا التتابع الحضاري ضروري، إلا انه يرى أنه ليس من الضروري أن تجتاز حضارة كل مجتمع هذه المراحل جميعا، فقد تنتقل من مرحلة إلى مرحلة أكثر تقدما دون المرور بالمراحل الوسطى. بالإضافة إلى أنه يرى أن هذه المراحل لا تنطبق على الحضارة ككل وإنما على كل مظهر حضاري على حدة.

2. جيمس فريزر (1854– 1941):

كما كانت إسهامات جيمس فريزر ذات أهمية في مجال التطور، ولعل من بين إسهامات فريزر ما قدمه في كتابه الضخم "**الغصن الذهبي**" الذي يضم اثني عشر مجلدا والذي صدر بين (1890-1915) بشكل متتابع، وفيه قدم نظرته حول مراحل تطور الفكر الإنساني. "وخرج من دراسته بتحديد ثلاث مراحل أساسية تجتازها المجتمعات الانسانية في تطورها وهي : (مرحلة1= سحرية) (مرحلة2 = دينية) (مرحلة3= علمية)"[1] فالإنسان في المرحلة الأولى ينطلق من السحر في محاولته السيطرة على الطبيعة ثم إلى الدين من خلال تفويض أمره إلى الآلهة، ثم المرحلة الأخيرة وهي مرحلة العلم.

3. إدوارد تايلر (1832– 1917):

يعد إدوارد تايلر أحد رواد هذا الاتجاه، وقد اهتم بالثقافة، وهو صاحب التعريف الشهير للثقافة والذي أورده في كتابه " الثقافة البدائية " عام 1871 وعلى الرغم من أنه إنجليزي (بريطانيا معقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية وليس الثقافية) إلا أنه ساهم في إضفاء قيمة أكبر على مفهوم الثقافة،

ورغم اهتمام تايلر بجوانب الحياة الاجتماعية المختلفة إلا أنه اشتهر أكثر بدراسة المعتقدات الدينية، ففي البداية بدأ الإنسان بالتفكير في الروح الملازمة للإنسان ثم تدرج في التفكير حيث اعتقد أن هناك أرواحا تسكن الطبيعة تماما مثل الروح التي تسكن الجسد، وفي الأخير توصل الإنسان إلى فكرة الإله الواحد كمرحلة أخيرة تعبر عن قمة تفكيره.[2]

كما درس إدوارد تايلر تطور الديانة من حيث أن كل الطقوس المرتبطة بالمعتقدات ليست غيبيات إنما بقايا لمراحل سالفة فهي شعائر ثقافية غابرة بقيت إلى اليوم.

[1]– هالة منصور، مرجع سبق ذكره، ص: 64.

[2]– جاك لومبار، **مدخل إلى الإثنولوجيا**، ترجمة: حسن قبيسي، الدار البيضاء – المغرب، المركز الثقافي العربي،1997، ص 75 – 78.

وكان إدوارد تايلر يؤمن أن المسارات الثقافية التي سلكتها الشعوب لم يكن لها أن تتكر أينما كان على وجه واحد عبر تلك الحركة الأحادية، فخبرته الميدانية في المكسيك كشفت عن أهمية الاحتكاك الثقافي ومحاكاة الشعوب الأخرى، مما جعله يعتقد بإمكانية أن التطور يتم بناء على مساهمات خارجية، فرغم تصنيفه ضمن الاتجاه التطوري[1] إلا أنه يقول بانتشار الثقافة يقول: (غالبا ما انتشرت الحضارة أكثر مما تطورت).

ثانيا/ الاتجاه الانتشاري:

يركز هذا النوع من الدراسات على أثر الانتشار في التكوين الثقافي وذلك بعكس الاتجاه التطوري الذي يركز على أثر التطور في التكوين الثقافي. ويذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن النماذج الثقافية في المجتمعات المتنوعة لا يكون نتيجة لتطور تلقائي أو مستقل، وإنما نتيجة لظهور النموذج الثقافي لأول مرة في مكان وزمان معين ثم انتقاله بعد ذلك إلى باقي المجتمعات الأخرى وهذه هي نقطة الاختلاف الرئيسية بين كل من التطير التطوري والانتشاري.[2] ولهذا الاتجاه 3مدارس هي:

1- المدرسة الأولى " أحادية المنشأ" (وهي المدرسة البريطانية):

تعتقد أن أصل الثقافة الإنسانية أو مركزها واحد. انتشرت منه السمات الأساسية واحتكت بعد ذلك ببعضها بعضا، ففي كل مرحلة من مراحل الإنسانية هناك مركز واحد للثقافة (الهلال الخصيب في العصر الحجري، مصر في العهود القديمة، والغرب في العصر الحديث). أبرز ممثلي هذه المدرسة مؤسسها البريطاني **إليوت سميث** والذي يرى أن أغلب مظاهر الثقافة في العالم قد انتشرت عن طريق الاستعارة من مناطق بعينها، وقد قصروا عملية الاختراع على مرة أو مرتين على الأكثر، ويؤكد سميث في دراسته عن هجرة الثقافة بقوله: (إن المدنية الحقيقية لم تحدث سوى مرة واحد في التاريخ الانساني، وأن مصر بالذات كانت مركز للثقافة)[3]

[1]- جاك لومبار، **مدخل إلى الإثنولوجيا**، مرجع سبق ذكره، ص 74 – 75.

[2]- هالة منصور ،مرجع سبق ذكره، ص 67.

[3]- نفس المرجع، ص: 68.

2- الفريق الثاني ''تعددية المنشأ'' (المدرسة الألمانية والنمساوية):

كان الاتجاه الانتشاري في ألمانيا بزعامة فريتزجرينر F.Graebner (1877- 1934) الذي اهتم مع الألماني الأخر وليام شميدت W.Schmidt (1868- 1954) بظاهرة انتشار السمات الثقافية بين المجتمعات، ورفضا فكرة تلقائية الثقافة، وقدرة كل شعب على أن يتوصل بنفسه إلى الابتكارات والاختراعات المختلفة، وأوصلتهما الدراسة إلى فكرة الدوائر الثقافية.[1]

ويرى أنصار هذا الفريق أن المراكز الثقافية الأولى متعدد انتشرت منها السمات الثقافية للجهات الأخرى واحتكت ببعضها بعضا. وكلما اقتربنا من إحدى هذه المراكز زادت كثافة وحدّة هذه السمات وبروزها أكثر. ومن زعماء هذا الاتجاه أيض نذكر الألماني فريديرك راتزل .

3- المدرسة الثالثة (الأمريكية) '' الجمع بين المدرستين'':

ترى أن السمات الثقافية الأساسية كانت في جهة واحدة ثم انتقلت إلى المناطق الأخرى وشكلت مراكز جديدة لها القدرة على إنتاج سمات جديدة ومتعددة. وأغلب مفكريها من تلاميذ **فرانز بواس،** والذين وقفوا ضد **الإثنو مركزية** الأوروبية، ففي نظرهم نشأت الثقافة من مركز جغرافي ثقافي واحد لكنها شكلت مراكز متعددة وموازية لها، لها القدرة على إنتاج أشكال ثقافية مختلفة تماما عن أصلها، بهذا أقرو إمكانية ابتكار الثقافات الأخرى لسمات جديدة. ومن رواد هذه المدرسة الأمريكي **كلارك ويسلر** والذي طور مفهوم الدائرة الثقافية إلى "المنطقة الثقافية" أو "المجموعات الثقافية"، فالعالم مشكل من مجموعات ثقافية تضم كل مجموعة عددا من الثقافات المتشابهة فيما بينها.

يعتبر وسلر من أوائل الذين أوضحوا العلاقة القوية بين البيئة الطبيعية والثقافية في الدراسة التي قام لها هنود أمريكا عام 1917 وحدد لنا فيها الأقاليم والمناطق الثقافية وتوزيعاتها الأساسية مستخدما في ذلك السمات الأساسية للبيئة الطبيعية في علقتها بعناصر الثقافة المادية وقد وضع هذا التقسيم في كتابه الذي نشره عام 1923 والذي يحمل عنوان " الإنسان والثقافة".[2]

[1]- فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي لنشواني، **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان- الأنثروبولوجيا-**، المملكة العربية السعودية، دار المريخ، 1988، ص 20.

[2]- مصطفى محمد حمادة ،**الأنثروبولوجيا في ثقافات الشعوب**، الازاريطة، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص 9.

وتوصل العلامة الأمريكي وسلر إلى وسيلة جديدة في هذا المجال تعرف " بالمنطقة الثقافية" Culture Area ترمي تلك الوسيلة إلى تقسيم أو تصنيف ثقافات العالم إلى مجموعات ثقافية تتكون كل مجموعة من عدة ثقافات متشابهة "فالمنطقة الثقافية هي إقليم أو منطقة من العالم تعيش عليها مجموعة من المجتمعات الإنسانية ذات الثقافات المتشابهة، وللوصول إلى تحديد تلك المنطقة الثقافية لابد من دراسة ثقافات مجتمعات منطقة محدودة بشيء من التفصيل لتحديد عناصر تلك الثقافات، وتحديد مدى انتشار تلك العناصر في المنطقة الثقافية،[1]

لقد شبه ويسلر المنطقة الثقافية بدائرة، مركزها هو مركز الثقافة أي المكان أو المجتمع الذي تتركز فيه كل العناصر الثقافية المنتشرة، أي يوجد فيه أكبر تكرار للعناصر الثقافية المتشابهة)النمطية(أما هامش الدائرة فهو هامش الثقافة أي أين تقل العناصر الثقافية وذلك لاختلاطها بعناصر ثقافية أخرى .

وقد حاول بعض العلماء الانتقال من مبدأ المنطقة الثقافية إلى مبدأ المنطقة الزمنية يكون في المكان الذي ظهر فيه أطول من عمره في الأماكن الأخرى التي أنشر فيها .

وتجدر الإشارة إلى أن ألفرد كروبر A.Kroeber (1876- 1960) عمق فكرة المنطقة الثقافية بتوضيحيه العلاقة الوثيقة بين العناصر الثقافية والعوامل البيئية في كتابه " المناطق الثقافية والطبيعة في الشمال الأمريكي عام 1939 –كما دفع فكرة الأنماط الثقافية خطوات إلى الأمام، وأكد أن كل ما يحدث في الثقافة من تحول أو تعاقب أو استمرار أو إنجاز إنما يتم من خلل الميكانيزمات التي تحدث في الأنماط الثقافية ...فكان يرى أن المنهج التاريخي هو الوسيلة المناسبة للكشف عن الأنماط الثقافية، والتاريخ عنده يأخذ في اعتباره عنصري الزمان والمكان وإلى جانب الدراسات التاريخية التي تعنى بدراسة الظواهر في زمن محدود وفي مجتمع معين كما يفعل الباحث في دراسته الحقلية.[2]

[1]– عاطف وصفي ،**الأنثروبولوجيا الثقافية**، مرجع سبق ذكره، ص 44

[2]– فتحية محمد إبراهيم، مصطفى حمدي لنشواني ،مرجع سبق ذكره، ص 24.

وقد تعرض هذا المبدأ "مبدأ المنطقة الثقافية" لعدة انتقادات لخصها العلامة ديكسون فيما يلي:[1]

- عدم وضوح طريقة التطبيق، فمثل نمط ثقافي مثل الزراعة هل ننظر إليه على أنه عنصر ثقافي بسيط أم عنصر ثقافي مركب يتكون من عدة عناصر ثقافية بسيطة .
- صعوبة تحديد خطوط دقيقة تفصل بين منطقة ثقافية وأخرى، إذ أن مثل تلك الخطوط لا توجد في الواقع نظرا لتداخل المناطق الثقافية والإقليم الواحد .
- قد يفهم من نظرية المنطقة الثقافية " أن هناك ترابط Corrélation بين البيئات الجغرافية والحضارات التي توجد فيها، ولكن تثبت الدراسات الميدانية عدم عمومية ذلك الترابط، إذ يعيش الإنسان في البيئات الجغرافية المتشابهة بطرق معيشة مختلفة تماما عن بعضها، بحيث نجد ثقافات مختلفة تماما في بيئات جغرافية متشابهة، ومن ناحية أخرى قد نجد ثقافات متشابهة في بيئات جغرافية مختلفة.

وهناك اعتراض رابع ذكره العلمة الأمريكي كروبر Kroeber نفسه بخصوص ضرورة التفرقة بين انتشار العنصر الثقافي المادي والعنصر الثقافي المعنوي مثل الأفكار، فقد تنشر الفكرة الواحدة من مجتمع لأخر لكن قد يعبر عنها في المكان الجديد بصورة مختلفة تماما عما كانت عليها في المكان الأول، ومن هنا تظهر مشكلة صعوبة تقصي انتشار الأفكار من مكان إلى آخر لأنها تتخذ صورا جديدة مختلفة تماما عن أصولها لكن برغم هذه الاعتراضات التي وجهته لمبدأ المنطقة الثقافية يبقى لهذا المبدأ أهمية في تنميط العناصر الثقافية وتتبع انتشارها في المجتمعات الأخرى المجاورة .

ثالثا/ الاتجاه الوظيفي:

ظهر الاتجاه الوظيفي في الانثروبولوجيا خلال القرن20 كرد فعل للاتجاهين التطوري والانتشاري. وقد انطلقت الدراسات في هذا الاتجاه من مبدأ أهمية دراسة النسق الاجتماعي مؤكدة أن أي نظام لا بد أن يُدرس من خلال إطاره الاجتماعي الذي يحتويه. كما أنه ركز على دراسة الثقافات الإنسانية كلّ على حدة، في واقعها الحالي / المكاني والزماني/. أي دراسة الثقافات الإنسانية كظاهرة، يجب البحث في عناصرها والكشف عن العلاقات القائمة فيما بينها، ومن ثم العلاقات القائمة فيما بينها وبين الظواهر الأخرى.[2]

[1] – عاطف وصفي ،**الأنثروبولوجيا الثقافية**، مرجع سبق ذكره، ص 46– 47.

[2] – عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص59.

والنظم الاجتماعية والثقافية لا يمكن فهمها ودراستها إلا من خلال النظر للنظام الاجتماعي، فهي جزء من كل اجتماعي لا يمكن فهمه أو تحليله إذا ما تم النظر إلى كل مكون من مكوناته على حدة، وإنما يجب دراسة النظام بأسره كي نستطيع أن نصل إلى تفسير حقيقي من خلال ملاحظة التساند الوظيفي أو العلاقات المتبادلة بين تلك النظم وهذا ما أطلق عليه رواد هذا الاتجاه (البناء الاجتماعي)[1]

❖ **رواد الاتجاه الوظيفي**: يمكن القول أن **"إيميل دوركايم" و" هربت سبنسر"** هما مؤسسا الاتجاه الوظيفي في الانثروبولوجيا ولكن بطريق غير مباشر، وهذا من خلال تأثيرهم القوي على كل من **"رادكليف براون" و"مالينوفسكي"** لقد ارتبط الاتجاه البنائي الوظيفي بأسماء مالينوفسكي ورادكليف براون، فقد كان هذا العالمان وفي سياق نقدهما للنزعة التطورية والانتشارية يرفضان اللجوء للتاريخ، ولذلك كرسا جهودهما للتحليل الزمني الآني لعناصر الثقافة المختلفة في مجتمع معين وفي الوقت الحاضر، أي دون الاهتمام بالسيرورة التاريخية لتطور العناصر الثقافية مثل العادات والتقاليد والمؤسسات. ..ولكن بالبحث عن الوظائف التي تؤديها هذه العناصر داخل الجماعة المدروسة.

وإذا كان كل من براون ومالينوفسكي وظيفيين في اتجاههما العام من حيث تركيزهما على دراسة البنيات المجتمعية في زمنها الراهن، إلا أنهما اختلفا في نظرتهما لمفهوم الوظيفة.

1. الوظيفية عند مالينوفسكي:

حيث كان " برونيسلاف كاسبر مالينوفسكي " يهتم أكثر بمفهوم الثقافة وتحديد الوظائف التي تؤديها، فقد رأى أن الأفراد يمكنهم أن ينشئوا لأنفسهم ثقافة خاصة، أو أسلوبا معيّناً للحياة، يضمن لهم إشباع حاجاتهم الأساسية، البيولوجية والنفسية والاجتماعية. ولذلك ربط الثقافة بجوانبها المختلفة، المادية والروحية والاجتماعية الاحتياجات الإنسانية.

فالاهتمام بالبنية Structure، كترابط منظم وخفي للعناصر الثقافية، يساعد النموذج في تفسيره وراء العلاقات الاجتماعية، يوازيه في اتجاه آخر اهتمام وظائفي بالمعنى الذي يحدده (مالينوفسكي) والذي تعني فيه الوظيفة: تلبية حاجة من

[1]- هالة منصور، مرجع سبق ذكره، ص: 71-72.

الحاجات، ويكون فيها التحليل الوظيفي هو ذلك الذي: " يسمح بتحديد العلاقة بين العمل الثقافي والحاجة عند الإنسان، سواء كانت هذه الحاجة أولية أو فرعية/ ثانوية.

فالثقافة كيان كلّي وظيفي متكامل، يماثل الكائن الحي، بحيث لا يمكن فهم دور وظيفة أي عضو فيه، إلا من خلال معرفة علاقته بأعضاء الجشم الأخرى، وإن دراسة هذه الوظيفة بالتالي، تمكن الباحث الإثنولوجي من اكتشاف ماهية كل عنصر وضرورته، في هذا الكيان المتكامل.

ولذلك دعا (مالينوفسكي) إلى دراسة وظيفة كل عنصر ثقافي، عن طريق إعادة تكوين تاريخ نشأته أو اتشاره، وفي إطار علاقته مع العناصر الأخرى، وهذا يقتضي دراسة الثقافات الإنسانية كل على حدة، وكما هي في وضعها الراهن، وليس كما كانت أو كيف تغيرت.

وبذلك يكون (مالينوفسكي) قد قدم مفهوم (الوظيفة) كأداة منهجية تمكن الباحث الأنثروبولوجي من إجراء ملاحظته بطريقة مركزة ومتكاملة، في أثناء وصفه للثقافة البدائية.[1]

2. الوظيفية عند راد كليف براون:

وفي المقابل اهتم **"براون"** أكثر بالعلاقات الاجتماعية أو البنية الاجتماعية، ذلك ما يعكس تأثره بالمدرسة الوضعية التي تزعمها إيميل دوركايم، والتي تؤمن بقدرة العلوم الاجتماعية على اكتشاف القوانين المتحكمة في الظواهر بالإضافة إلى اتجاهه لاستعارة منهج البيولوجيا وتطبيقه على المجتمع.[2] فقد كان يرى أن المهمة الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية هي اكتشاف كيفية محافظة العادات والقيم الاجتماعية على النظام الاجتماعي. ويرى أن كل علاقة اجتماعية بين شخصين تعد جزء من البناء الاجتماعي بالإضافة إلى أنه ربط دور الفرد بمكانته ومركزه الاجتماعي.

[1]- عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص61.

[2]- عبد الوهاب جعفر، **البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها**، دار المعارف، الإسكندرية، 1980، ص 20- 21.

لقد اعتمد (براون) في دراسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيرا اجتماعيا، بنائيا ووظيفيا، على فكرة الوظيفية التي نادى بها (دوركايم) والتي تقوم على دراسة المجتمعات الإنسانية، من خلال المطابقة (المماثلة) بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية، كما هي الحال في المشابهة بين البناء الجسمي المتكامل عند الإنسان، والبناء الاجتماعي المتكامل في المجتمعات الإنسانية.

ويوضح (براون) طبيعة هذا (البناء الاجتماعي) بأنه يندرج تحت هذا المفهوم، العلاقات الاجتماعية كلها، والتي تقوم بين شخص وأخر، كما يدخل في ذلك التمايز القائم بين الأفراد والطبقات، بحسب أدوارهم الاجتماعية، والعلاقات التي تنظم هذه الأدوار. وكما يستمرّ تجدد بناء الكائن العضوي طوال حياته، فكذلك تتجدد الحياة الاجتماعية مع استمرارية البناء الاجتماعي في علاقاته وتماسكه.[1]

رغم محاولة ابتعاد الاتجاه الوظيفي عن تلك المقارنات التي حاولت أن تعزل النظم الاجتماعية عن سياقها " البنائي"، إلا أن المقارنة بقيت لها قيمتها في التحليل الوظيفي، فقد رأى بعض العلماء أن الاتجاه الوظيفي هدفه هو التوصل إلى تعميمات تتعلق بالصلات المتبادلة بين النظم في المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة، وتصنيف المجتمعات من أجل إدراك نقاط التشابه بينها، لهذا حاول الاتجاه الوظيفي المزاوجة بين التحليل الوظيفي والمقارنة في الدراسات الأنثروبولوجية، من خلال محاولة تناول الظواهر الاجتماعية في سياقها الكلي، وكذلك التعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام بالنسبة للبناء الاجتماعي الكلي.

ولقد عارض مالينوفسكي نظرة بعض العلماء خاصة المنتمين منهم للمدرسة الأمريكية، والذين ينظرون للثقافة باعتبارها مجموعة من العناصر المنفصلة والمتباينة من حيث نشأتها، حيث رأى مالينوفسكي وبنظرة – وظيفية — أن كل ثقافة هي عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل شبيه بالكائن الحي لا يمكن فهم جزء منه إلا بالرجوع إلى الأجزاء الأخرى، كما سعى مالينوفسكي إلى تحديد الوظيفة النهائية للثقافة الإنسانية، في الوقت الذي يوجه رادكليف براون نظرته للمجتمع وليس للثقافة، فيؤكد أن المجتمع يتألف من أجزاء متداخلة وظيفيا هدفها وصف وتصنيف الأبنية والظواهر المجتمعية، والوصول بالتالي إلى صياغة القوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية.[2]

[1]– عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص ص 61-62.

[2]– سفيان ميمون، **محاضرات في مقياس مدخل إلى الأنثروبولوجيا**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحي — جيجل، 2018-2019، ص ص58-59.

وقد انتقد عالم الاجتماعي الأمريكي روبرت ميرتون ما رآه على أنه **الافتراضات الأساسية الثلاثة للتحليل الوظيفي** كما تم تطويرها من قبل علماء الأنثروبولوجيا مثل مالينوفسكي ورادكليف براون.

الأول هو افتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع. تنص هذه الفرضية على أن جميع المعتقدات والممارسات الاجتماعية والثقافية الموحدة وظيفية للمجتمع ككل وكذلك للأفراد في المجتمع. تشير وجهة النظر هذه إلى أن الأجزاء المختلفة للنظام الاجتماعي يجب أن تظهر مستوى عالٍ من التكامل. ومع ذلك ، أكد ميرتون أنه على الرغم من أنه قد يكون صحيحًا بالنسبة للمجتمعات البدائية الصغيرة ، إلا أن هذا التعميم لا يمكن أن يمتد إلى مجتمعات أكبر وأكثر تعقيدًا.

الوظيفة العالمية هي الافتراض الثاني. وهذا يعني أن جميع الأشكال والهياكل الاجتماعية والثقافية الموحدة لها وظائف إيجابية. جادل ميرتون بأن هذا يتعارض مع ما نجده في العالم الحقيقي. من الواضح أنه ليس لكل بنية ، أو عرف ، أو فكرة ، أو عقيدة ، وما إلى ذلك ، وظائف إيجابية. على سبيل المثال ، يمكن أن تكون القومية المسعورة مختلة بشكل كبير في عالم تتكاثر فيه الأسلحة النووية.

والثالث هو افتراض عدم الاستغناء عنه. الحجة هنا هي أن جميع جوانب المجتمع الموحدة ليس لها وظائف إيجابية فحسب ، بل تمثل أيضًا أجزاء لا غنى عنها من كل العمل. يؤدي هذا الافتراض إلى فكرة أن جميع الهياكل والوظائف ضرورية وظيفيًا للمجتمع. لا توجد هياكل ووظائف أخرى يمكن أن تعمل تمامًا مثل تلك الموجودة حاليًا داخل المجتمع. كان نقد ميرتون ، بعد بارسونز، هو أننا يجب أن نكون على الأقل مستعدين للاعتراف بأن هناك بدائل هيكلية ووظيفية مختلفة يمكن العثور عليها داخل المجتمع.[1]

[1]- George Ritzer**, Sociological Theory**, New York, McGraw-Hill, Eighth Edition, 2011. P 252-253

المحاضرة السادسة

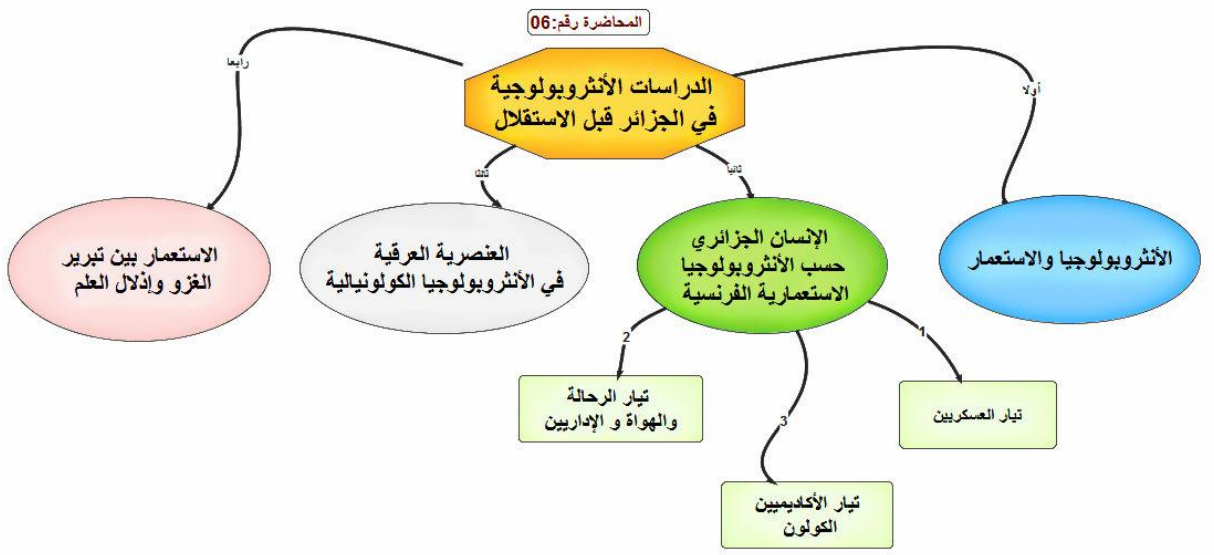
الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال

المحاضرة السادسة

الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال

تمهيد:

إن سعي الاستعمار الحديث للسيطرة على الشعوب لم يكن بالقوة العسكرية والسلاح المدمر، بل كان أيضا بالهيمنة الثقافية والعمل على إعطاء التبريرات الوافية حول إبادة هذه الشعوب واستغلال خيراتها الطبيعية والبشرية، ولقد كرست الجهود التي توغلت إلى الخصوصيات الثقافية للوقوف على مكامن القوة والضعف عن طريق الملاحظة الدقيقة والمتأنية للوصول إلى نتائج جد مهمة، يقول أحد الباحثين "ريفي" (Rivet) في ذلك: **" لا استعمار جيد بدون إثنولوجيا محكمة.."**. وقد ارتبطت الأنثروبولوجيا بالجزائر – لدى الكثير من الدارسين– بحركة المد الاستعماري الأوربي خصوصا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث كانت الإدارات الأوروبية في حاجة إلى استكشاف خصائص الشعوب التي يريدون احتلالها، أو كانوا قد احتلوها بالفعل، وذلك باعتبار أن الأنثروبولوجيا ليست مجرد نتاج فكري ولا نظريات أو أفكار متداولة عن الإنسان، بقدر ما هي رؤية شاملة ودقيقة للواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الإنسان. وسنحاول في هذه المحاضرة التحدث عن علاقة الأنثروبولوجيا بالاستعمار، بالإضافة إلى إعطاء لمحة عن الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي



أولا/ الأنثروبولوجيا والاستعمار:

إن علم الانسان الحديث كما يراه نقاده من الماركسيين، وفي العالم الثالث، هو من نتاج الاستعمار. وهذا صحيح إلى حد يمكن أن نقرر من أن هذا العلم وعلماءه ساعد مشروعات الاستعمار بصورة غير مباشرة، ولكن بصورة واضحة للعيان أحيانًا أخرى.

ولقد سارت البحوث في ثقافات المجتمعات مع التوسع الاستعماري جنبا إلى جنب من البداية، فحملة بونابرت على مصر كان يرافقها 150 عالما منهم علماء متخصصون في دراسة الثقافات. ولقد أسهم المستشرق (وهو العالم الغربي المتخصص في شعوب الشرق وتقاليدها) في رسم صورة الشرقي، وفي غضون حقبة الاستعمار تكونت في عقول الغربيين صورة متزايدة التفاصيل عن الشرق. وأعرض هنا نصا كتبه مؤلف كتاب الاستشراق في وصف الشرقي: ((إن الشرقي ليس بالمنطقي، إنه منحل، أو طفولي، ومختلف (عنا))) وبالمقارنة به فإن الأوروبي متزن، فاضل الخلق، ناضج، لا عوج فيه.[1] لهذا استخدمت الدراسات الاستشراقية كأداة في يد الغرب الحاقد منذ الحرب الصليبية, فدرسوا العقيدة والعادات والأخلاق والثروات وذلك من أجل التعرف على مواطن القوة والضعف فيها لتسهيل عملية الاحتلال، وهذا العمل كان يقوم به أيضا علماء الأنثروبولوجيا منذ ق 19. وفي هذا الصدد يقول إدوارد سعيد أن الدراسة الاستشراقية قدمت خدمة للاستعمار قبل حدوث السيطرة وليس بعد حدوثها, فالتراث الاستشراقي كان بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته[2]

إن الأنثروبولوجيا خدمت الاستعمار أحسن خدمة لتوطيد هيمنته على الشعوب. حيث يعبر الأنثروبولوجي الأنجليزي (إ.بريتشارد) عن العلاقة بين الاستعمار والأنثروبولوجيا بقوله: "إذا كانت السياسة الاستعمارية لحكومة ما, تقوم على حكم شعب من الشعوب بواسطة رؤسائه, فمن المفيد أن يعرف من هم هؤلاء الرؤساء، ما هي وظيفتهم, وسلطتهم وامتيازاتهم, وواجباتهم, فإذا سلمنا بأن حكم شعب ينبغي أن يتم وفقا لشرائعه الخاصة وعاداته الخاصة, فيجب أولا أن نكتشف هذه الشرائع وهذه العادات.[3]

---

[1]- أكبر أحمد، **نحو علم الإنسان الإسلامي**، ترجمة: عبد الغني خلف الله، فيرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1990، ص42.

[2]- بوحسون العربي، **الاستشراق والأنثروبولوجيا والاستعمار-دراسة تحليلية لطبيعة العلاقة-**، مجلة الإنسان والمجتمع، جامعة أبوبكر بلقايد-تلمسان، الجزء الثاني . العدد 02 ديسمبر 2011، ص: 49.

[3]- بوحسون العربي، نفس المرجع، نفس الصفحة.

ولقد وضح الأنثروبولوجي الإنجليزي (إيفانز بريتشارد) هذه العلاقة بين الأنثروبولوجيا والمستعمر في التعاون الذي أجري بين الطرفين خلال الاحتلال البريطاني للسودان، حيث يقول: "شجعت حكومة السودان الإنجليزي المصري آنذاك بشكل دائم البحث الأنثروبولوجي في جنوب السودان سواء كان احترافيا أم على سبيل الهواية". فقام (ج.ج.سليجمان) وزوجته (و.د.سليجمان) بمسوح في الفترتين (1909-1910) و(1921-1922) ونشرت ملاحظاتهما إلى جانب معلومات أخرى جمعها آخرون عام 1932 في الكتاب المعنون "**القبائل الوثنية في السودان النيلي**". وقد صرح (إ.بريتشارد) بأنه قام بست زيارات إلى جنوب السودان وأجرى دراسات على المناطق التي لم يغطيها الزوجان (سليجمان) من قبله في الزيارة الأولى، أما خلال الزيارات الخمس الأخرى فقد أجرى دراسات مكثفة للأزاندي والنوير وللأنواك بدرجة أقل. وقد قام كذلك (لينهارت) بخمس زيارات إلى جنوب السودان أيضا خلال الفترة 1948- 1954 قام خلالها بدراسة مكثفة على الدينكا والأنواك. كما قام نادل بمواصلة أعمال بريتشارد وسليجمان في وسط سكان جبال النوبا. بينما ركزت الباحثة (جين بيكستون) على دراسة الماندراي في الفترة مابين 1951- 1952 لقد كانت رغبة الحكومة في رعاية البحوث الأنثروبولوجية جزءا من سياسة عامة دعمتها وزارة المستعمرات لجمع المزيد من المعلومات الموثوقة عن التنظيم الاجتماعي للسكان، ونظم معتقداتهم, حيث تعاونت الإدارة الاستعمارية مع الأنثروبولوجيين في هذه المرحلة على غرس إيديولوجيا الاستعمار. وكان الهدف الرئيسي هو ضبط السكان الوطنيين وقمعهم واستغلالهم. [1]

من خلال ما سبق نلاحظ أن الأنثروبولوجيا قد ارتبطت – لدى الكثير من الدارسين- بحركة المد الاستعماري الأوربي خصوصا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث كانت الإدارات الأوروبية في حاجة إلى استكشاف خصائص الشعوب التي يريدون احتلالها، أو كانوا قد احتلوها بالفعل، وذلك باعتبار أن الأنثروبولوجيا ليست مجرد نتاج فكري ولا نظريات أو أفكار متداولة عن الإنسان، بقدر ما هي رؤية شاملة ودقيقة للواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الإنسان.[2]

والمستعمر كان دوما في حاجة إلى معرفة خصائص الشعوب التي وقعت نيره، سواء قبل الشروع العسكري أم أثناءه، فكانت تقارير الرحالة والمستكشفين أولى حلقات مشروع الآخر المحتل، كما رافقت الجيوش الغازية بعثات علمية كان الهدف الأساس منها

[1]- بوحسون العربي، نفس المرجع، ص: 50-51.

[2]- بلقاسم بن زنين، **الجزائر في الفكر الأنثروبولوجي**، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي – بكر بلقايد، تلمسان، 2000 - 2001، ص 02

تسليط ضوء البحث / الدرس على كل ما هو مجهول في الأنماط الحياتية والفكرية والعقائدية لهذا الآخر الذي ربما بدا غريبا في أنماطه المعيشية والثقافية والعقائدية وحتى تشريعاته القانونية والعرفية ونظمه الاقتصادية.[1]

وقد تعارفت الدراسات المهتمة بتاريخ العلوم على اعتبار الأنثروبولوجيا علما استعماريا بحتا، إذ انبثق هذا العلم أول ما انبثق في رغبة "العالم المتحضر" (الغربي) في استكشاف الآخر "البدائي" (المتخلف)، أو الغريب عن الحضارة الغربية، والذي لا يزال يرزح تحت غياهب التوحش والبدائية.

ويذكر (جاك لومبار) أن هذا العلم يهتم بدراسة المجتمعات البعيدة والغريبة, أي دراسة الإنسان "الآخر" الذي يختلف عن الإنسان الغربي في ثقافته وعادته وتقاليده, ودرجة وعيه وتقدمه, وهذه إشارة إلى الشعوب البدائية ذات الثقافة البسيطة والتقليدية مقارنة بثقافة الإنسان الأبيض(الغربي)[2]، ولا شك أن هذه الآراء هي في الحقيقة أوهام خلقتها فلسفة التاريخ، من هيجل إلى أسماه فوكو " القدر التاريخي المتعالي الذي خُصَّ به الغرب".[3]

وهكذا وجدت الادارة المركزية الامبريالية ضالتها في علم الأنثروبولوجيا، فسخرت لخدمة أغراضها التوسعية، وجندت في سبيل ذلك ما تهيأ لها من كفاءات علمية وبحاثة ميدانيين بغية إعداد كشوفات دراسية عن الشعوب المستعمرة، وكانت التقارير الميدانية للأنثروبولوجيين بمثابة سبر لأغوار ثقافات هذه الشعوب ونظمها الحياتية المختلفة وبهذا انحرفت الأنثروبولوجيا عن مسارها المعرفي لتصبح أداة في يد الإدارات الاستعمارية تتيح لها معرفة هذا "الآخر" الذي كان يبدو غريبا وأحيانا بدائيا أو متوحشا.

ثانيا/ الإنسان الجزائري حسب الأنثروبولوجيا الاستعمارية الفرنسية:

لقد مثلت الجزائر بالنسبة للفرنسيين الأوائل الذين قدموا سنة 1830، ذلك المجهول، نقطة استفهام كبرى، شعب لا يعرفون عنه شيئا ذا بال. لكن مع اصطدامهم بحركات المقاومة الشعبية والرفض الشعبي فطن الفرنسيون إلى ضرورة معرفة هذا الشعب ودراسته من أجل ترويضه والسيطرة عليه. وهنا ظهرت ضرورة استدعاء الأنثروبولوجيا وعسكرتها بالطريقة التي تحقق بها هذه الأهداف.[4]

---

[1] – وسام العثمان، **المدخل إلى الأنثروبولوجيا**، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص 18 .

[2] – بوحسون العربي، نفس المرجع، ص: 45.

[3] – جيرار لكلرك، **الأنثروبولوجيا والاستعمار**، ترجمة: جورج كتورة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1990، ص11.

[4] – مبروك بوطقوقة، **عرض كتاب : جزائر الأنثروبولوجيين**، الجزء 2 / 3، موقع أرنتروبوس https://cutt.us/WzjuW

فبعد مرور عقد من الزمن أقدمت الحكومة الفرنسية على إجراء تحريات كبرى من سنة 1844 إلى غاية 1867 نشرت في قرابة 40 مجلدا حول مختلف نواحي الحياة.

و من خلال دراسة النصوص الإثنولوجية الفرنسية يمكننا أن نرصد ثلاث تيارات انثروبولوجية هي:

1. **تيار العسكريين:**

وهم أول من اضطلع بمهمة دراسة ذلك الجزائري الآخر العدو، فالمعرفة العلمية للجزائر كما وصفها "فيليب لوكا" و"جون كلود دفاتان" في كتابهما "جزائر الأنثروبولوجيين' **L'Algérie des Anthropologue** كانت قبل كل شيء وظيفة الاحتلال، فقد بدأت مع العسكريين وبهم. وبحكم وطنيتهم وتتميز مذكراتهم ودراساتهم بالكره العميق لكل ما جزائري ونشر الأوهام والأكاذيب فالعربي هو ذلك المتوحش الهمجي الخبيث المنافق الكسول، المتعطش للدماء وقطع الرؤوس، السارق الناهب، قاطع الطريق وقائمة الأوصاف الدنيئة لا يمكن حصرها هنا. ومن أبرز ممثلي هذا التيار وبول رينال Paul Raynal ووبولوسيي Pelissier في كتابه "حوليات الجزائر" (Annales algeriennes)" وكاريتCarette و الضابط Merle صاحب كتاب "طرق تاريخية وسياسية للإفادة في تاريخ غزو الجزائر سنة 1830 "، وكتاب آخر للنقيب روزت" (Rozet) الذي كان في نفس الوقت جغرافيا "رحلة إلى مدينة الجزائر أو وصف بلد محتل من طرف الاستعمار الفرنسي في إفريقيا "طبع في 1833، والضابط (De slane) "دو سلان"، الذي كان من أصل ايرلندي، وكان يعد من أشهر المستعربين الأوربيين، اهتم بالترجمة، ومن أعماله الكبرى ترجمته لمقدمه ابن خلدون، التي عدت كما سبقت الإشارة إلى ذلك مرجعا أساسيا في البحث الأنثروبولوجي الاستعماري، وقد تمت هذه الترجمة بفترة وجيزة قبل تحرك الآلة العسكرية الفرنسية نحو الجزائر.[1]

كما حاول ألكسيس دو توكوفيل Alexis de tocqueville الربط بين السياسة الاستعمارية والمعرفة حول الجزائر من خلال تحليل إحدى المراسلات الاستعمارية التي تطرقت إلى دراسة العادات والتقاليد والأعراف السائدة لدى الجزائريين, مضمونها: "لم تكن لنا أية أفكار واضحة عن مختلف القوميات التي تسكن المنطقة ونواميسها الاجتماعية, وقد كنا نجهل أبسط المعاني لأي كلمة من اللغة التي يتحدثونها وحتى جغرافية البلد نفسه, موارده, مجاريه المائية, مدنه والخصائص المناخية". حيث يضيف نفس الكاتب " فعندما نتمكن من اللغة ومعرفة الخلفيات وممارسات العرب, وعندما نتمكن من اكتساب

[1] – نفس المرجع

نفس الهيمنة التي يكنها هؤلاء الرجال للحكم السابق(أي الحكم التركي) عندئذ يصبح الأمر متاحا لنا لممارسة أساليبنا في الحكم ومن تم فرنسة البلاد ولفها من حولنا. لقد تبين لنا من هذه الرسالة أن الحركة الاستعمارية على الجزائر لم تقتصر على فرض منطقها بالقوة, ولكن سمحت لها الدراسة الأولى التي استقتها عن الشعوب الأخرى المسماة (بدائية ووحشية) ببلورة الفكرة الإيديولوجية للتدخل الاستعماري المبرر على أساس إيديولوجي مقبول بالنسبة له(أي الغرب) وقد تجلى ذلك فيما كتبه أرنست مرسيي Ernest Mercier الذي ينتمي من حيث أعماله إلى الفترة (1870- 1890) في كتابه سنة 1901 بعنوان "مسألة الأهالي في الجزائر في بداية ق20" indigène en Algérie au comménement de XX siècle فقد بدا له أن وضع المعارف حول السكان الأهالي غير كاف, والحال أن المعارف حول هؤلاء السكان هي التي لا تبعث على الرضا, وهو سبب طيب للخلوص إلى أن هناك فرقا بين الأوروبيين والأهالي ومن تم حق الأوائل في إدارة شؤون الآخرين. إذ مهما كانت طبيعة الدراسات الكولونيالية على الجزائر, فإنها قد خدمت التغلغل الاستعماري في المنطقة. [1]

2. **تيار الرحالة والهواة والإداريين:**

وظهر بعد ظهور الإدارة المدنية وخاصة ''المكاتب العربية'' ومجيء المستكشفين والفضوليين والهواة والصحفيين ظهرت كتابات اتسمت باالغرائبية والفلكلورية والسطحية أيضا. وتركزت دراساتهم على الجزائر الداخلية من خلال دراسة القبائل والزوايا والمرابطين والبدو الرحل، والدواوير وتم التركيز خاصة على الجانب الديني(الزوايا والمرابطين) من أجل تدجينه وتحريره لخدمة المستعمر ومن رواد هذا التيار النقيب فييو و Auguste pomele

3. **تيار الأكاديميين الكولون:**

وقد ظهر بعد مجيء المعمرين ومحاولتهم السيطرة على موارد الجزائر وخاصة الأراضي وقد حاولوا التأكيد على فرنسة الجزائر وإثارة الفكرة القبائلية ومن رواد هذا التيار إميل ماسكري (أستاذ بجامعة الجزائر) و M. Fabar وM. Dumas

وعموما فقد كان استكشاف ذلك الجزائري مليئا بالمغالطات والكذب والخداع، والرمي بشتى الصفات القبيحة من توحش وبربرية وهذا ما يتبين لنا من خلال بعض المقتطفات من كتابات تلك الفترة. يقـــــول Paul Raynal في كتابه L'expédition d'Alger عام 1930:

[1]- بوحسون العربي، مرجع سبق ذكره، ص: 49.

«لا شيء يساوي قبح الجزائر، ولا شيء يضاهي بهائها أيضا. الجو هنا لطيف والأرض خلابة ولا تنقصها إلا الحضارة، خاصة لدى البدو الرحل الذين يبدون وكأنهم بشر متوحش، يقطعون الرؤوس بشغف كبير... يتفننون في تعذيب الأسير يقطعون يديه، ثم أذنيه، ويوشمونه بالدم على العنق ثم يجتثون أنفه ولا يقطعون رأسه إلا عندما يقارب لفظ أنفاسه».[1] كما وصف ترميلي (trumulet) الجزائرين بأنهم" يستحقون كل صفات الدناءة والخساسة والاحتقار"

ويقول Flabar و Dumas في كتابهما La Grande Kabylie الصادر سنة 1847 « يتميز العربي بكرهه للعمل فهو كسول، ولا يهتم طوال المهنة سوى بإشباع رغباته، وهو كسول جسميا حتى أن الخمول يكاد يسري على وقع دقات قلبه، وهو كذاب ومراوغ ومنافق» .« المرأة العادية عند العرب عموما قذرة، لا تأكل رفقة زوجها ولا بحضور الضيوف»

وفي إطار النزعة البربرية وطرح مشروع التكامل الفرنسي القبائلي تراهم يمجدون القبائلي على حساب العربي ويركزون على نقاط الخلاف بين العربي والقبائلي لإثارة الفتنة والتفرقة بين الشعب الواحد «لا يلتقي العرب والقبائل إلا على محور واحد وهو الكره، فالقبائلي يكره العربي والعربي يكره القبائلي، وهذا المقت المتأجج لا يمكن وصف تفسيره إلا بشعور تقليدي توارثته الأجيال كره بين عرق الغزاة (العرب) والعرق المقهور (البربر). ولقد كان القبائل قبل مجيء العرب مسيحيين ولم يتقبلوا الإسلام طواعية لكنهم تقبلوا القرآن تحت وطأة السيف فهم مغلفون من الخارج بالعقيدة والبرنوس أما بالداخل فيحتفظون بالمضمون القديم.[2]

ولنستعرض بنوع من الإيجاز بعض الدراسات التي صاحبت هذه الفترة، والتي استفاد منها الاستعمار لتكريس تواجده على أرض الجزائر (تكريس الأنثروبولوجيا لأغراض وإيديولوجيا الاستعمار) والتي جاءت وفي فترات متباينة الكثير من الدراسات التي قدمها في غالبيتها الضباط والعساكر أو الإداريون التابعون للإدارة الاستعمارية، والتي اهتمت كما أشرنا بمختلف مناحي الحياة.

- دراسة كل من "هانوتو ولتورنو (Hanoteau et Letourneux) "حول القبايل والأعراف القبايلية.
- القاموس الفرنسي الأمازيغي، الذي ألفه العقيد "لابان" (Lapéne) سنة 1837
- أعمال "إيميل ماسكوري" (E. Masqueray) بين السنوات 1873 و1886 خاصة عمله "تشكل الحواضر"
- أعمال "ر. مونييه" (R. Maunier)، و"إيفون توران"، و" لويس رين" (Louis Rinn)
- الأعمال المتأخرة لبعض الباحثين أمثال بورديو، وبيرك، وجيرمان تيون، وفاني كولونا

[1] – مبروك بوطقوقة، مرجع سبق ذكره.

[2] – نفس المرجع

ثالثا/ العنصرية العرقية في الأنثروبولوجيا الكولونيالية:

لقد تدعم الاستشراق كما الأنثروبولوجيا بروح من العنصرية تجاه الشعوب الأخرى كوجه للهيمنة الغربية تجاه الحضارات العريقة في آسيا وإفريقيا التي اعتبرت حقلا واسعا لدراسات الاستشراق. حيث بين إدوارد سعيد كيف أن معظم هذه الدراسات لم يتخلص من الأسلوب المعرفي الذي قام على المعرفة المتعمقة للغات والعادات والتقاليد والأخلاق. إذ أن حكم الأهالي في المجتمعات البدائية لا يستقيم إلا بمثل هذه المعرفة التي أدركها الغرب من أجل ضمان هيمنته. وكل أوروبي كان فيما يمكن أن يقوله عن الشرق عنصريا وإمبرياليا وإلى درجة كلية تقريبا عرقي التمركز.

إن هذه العنصرية برزت أيضا لدى الإثنولوجيين العنصريين في أوروبا أمثال Gobineau واستثمر مصطلح البدائي لغرض عنصري حيث رأى أن الإنسان الأوروبي الأبيض هو الأقدر على الإبداع في حين أن الأناس الآخرين الملونين (السود، الصفر، المغول، السمر) أقل قدرة على الإبداع والتطور لا لشيء سوى أنهم ليسوا من العرق الأبيض. أضف إلى ذلك أن الإيديولوجية الاستعمارية التي قامت على العنصرية العرقية والتمركز الثقافي الغربي حاولت أن تعمل على توطيد التبعية التامة من خلال تقسيم العالم إلى عالمين الأول متقدم وحديث والثاني متوحش ومتخلف، فقد ذكر أرنست مرسي في كتابه "مسألة الأهالي في الجزائر " 1901 أن هناك فرقا بين الأوروبيين والأهالي، ومن ثم حق الأوائل في إدارة شؤون الآخرين.[1]

رابعا/ الاستعمار بين تبرير الغزو وإذلال العلم:

إن سعي الاستعمار الحديث للسيطرة على الشعوب لم يكن بالقوة العسكرية والسلاح المدمر، بل كان أيضا بالهيمنة الثقافية والعمل على إعطاء التبريرات الوافية حول إبادة هذه الشعوب واستغلال خيراتها الطبيعية والبشرية، ولقد كرست الجهود التي توغلت إلى الخصوصيات الثقافية للوقوف على مكامن القوة والضعف عن طريق الملاحظة الدقيقة والمتأنية للوصول إلى نتائج جد مهمة، يقول أحد الباحثين "ريفي" (Rivet) في ذلك: **" لا استعمار جيد بدون إثنولوجيا محكمة."**

[1] – بوحسون العربي، مرجع سبق ذكره، ص: 52.

إن وصف الشعوب بالتخلف والانحطاط، وتكريس النظرة المتعالية وتمجيد المركزية العرقية والتفوق الحضاري المزعوم، صاحبه في ذات الوقت تبرير التواجد الميداني والسيطرة العسكرية التي كانت زعما بأنها ستقود الشعوب إلى التقدم والتحضر والمدنية من جهة، ومن جهة أخرى صاحبه أيضا إذلال وامتهان لعلم الإنسان الذي كان من المفترض أن يكون جسرا لتواصل الشعوب والتبادل الثقافي بينها. ولم يتعرض علم من العلوم- باستثناء علم القانون وروح القانون- للتشويه والذل وسوء الاستخدام من قبل التيارات السياسية التي جاء بها الحكم النازي للعالم، كعلم الإنسان وإبداعه. فقد جعل من العلم الذي قام أصلا للمساهمة الفعالة في تفاهم الثقافات والشعوب، واحدا من أمضى أسلحة الحرب العدوانية، جعل من هذا العلم أداة مسمومة لارتكاب الجرائم السياسية والإنسانية من خلال قسر النظرية وإقحامها في الزعم أن بعض الشعوب ليست إخوة للبشر، بل كائنات من أنواع منحطة.[1]

إن المعرفة العلمية تراكمية وهي ثمرة الدراية والإحاطة بالتاريخ والتراث، طبعا لمعرفة القوانين التنبؤية لمستقبل الإنسانية- لا لوضع الخطط الاستراتيجية للنهب والسلب وادعاء الأحقية والشرعية – فالأنثروبولوجيا في الأساس كانت تحمل في جوهرها مبدأ إنساني أساسه المساواة ونبذ العنصرية، لأن الإنسانية وحدة واحدة في كل عصر.

وما الصورة التي نحن عليها اليوم إلا تطورا عن صورة أسلفنا، فالأنثروبولوجيا يفترض أن تكون علم الوحدة البشرية، لا حجة في يد الغربيين لتقسيم المجتمعات واستعمارها بحكم التفوق الخلقي .

[1]- مرقومة منصور، **الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة**، مجلة التدوين، جامعة محمد بن أحمد وهرن 2، الجزائر، المجلد08، العدد 01، ديسمبر 2016، ص83.

المحاضرة السابعة

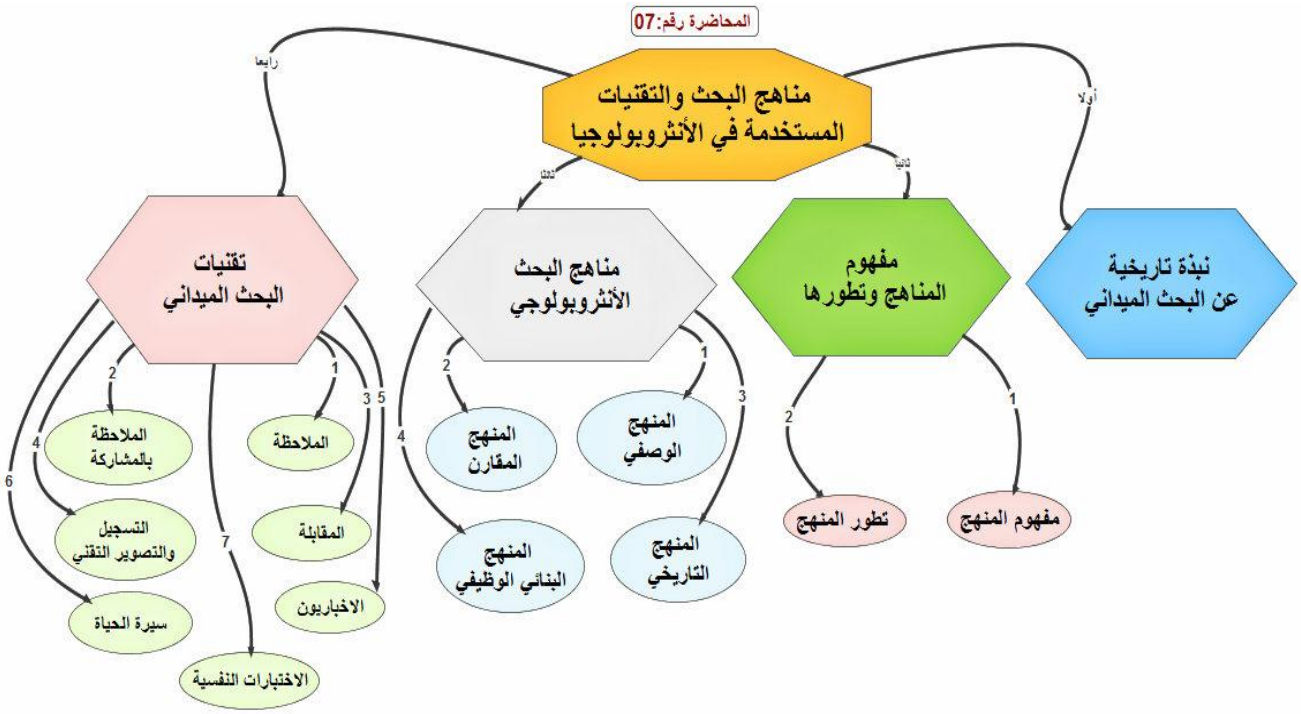
مناهج البحث والتقنيات المستخدمة في الأنثروبولوجيا

المحاضرة السابعة

مناهج البحث والتقنيات المستخدمة في الأنثروبولوجيا

تمهيد:

لقد أصبحت الأنثروبولوجيا علما يعتمد على مناهج متخصصة في البحث، إلى جانب أنها أصبحت فنا بممارستها بعض الطرق والأدوات الفنية الدقيقة في إجراء بحوثها الحقلية، وقد أصبحت الفكرة القائلة (بأنه يتعين على الأنثروبولوجي أن يبحث بنفسه عن البيانات التي تحتاج إليها دراساته بدلا من الاعتماد على كتابات الرحالة) فكرة شائعة في أواخر القرن التاسع عشر والحث على الانتقال إلى العمل الميداني. من أجل هذا اعتمد علماء الأنثروبولوجيا في دراساتهم على عدة مناهج وأساليب خاصة في إجراء البحث الميداني، وهذه المناهج والأساليب هي ما سيتم التطريق إليه في هذه المحاضرة.



أولا/ نبذة تاريخية عن البحث الميداني:

تعرف سارة ديلامون البحث الميداني بقولها: " إن البحثَ الميدانيَّ كلمةٌ تُستعمَلُ في البحث الكيفي للإشارة إلى مرحلةِ جمع المعطيات عندما يترك الباحثون مكاتبهم ويدخلون الميدان. ويمكن أن نعيد البحثَ الميدانيَّ إلى تقاريرِ الرحالة عن البلدان البعيدة التي كانوا يزورونها فقد كتب المستكشفون والمبشرون الأوروبيون منذ القرن الثالث عشر تقاريرَ وصفيةً حول الثقافات والشعوب الغريبة التي كانوا يزورونها. وكان القراءُ يستمدون معلوماتهم حول العالم من هذه الكتابات. ومع التوسع الاستعماري الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حصّلَ الرحالةُ ثقافةً وأضحت تتسم بدقة وجودة » الأخرى « أكبر، وتزايد عددُ التقارير حول الشعوب أكبر.

لكن البحث الميداني الأكاديمي لم يبدأ إلا في نهاية القرن التاسع عشر مع الأنثروبولوجيا. فقد كان علماء الأنثروبولوجيا الأوائل يكتفون بقراءة تقارير المستكشفين والموظفين الحكوميين والمبشرين. وكان ينقصهم الاتصالُ المباشرُ بالشعوب المدروسة. ومعلومٌ أن كثيراً من كتابات الرحالة كانت تركّز على الجوانب الغرائبية وكانت تتسم بالعنصرية والمركزية العرقية. وكان عددٌ نادرٌ من الرحالة من يتحدثون لغةَ الأهالي، لذلك كانوا يستخدمون المترجمين. ولم يبدأ الأنثروبولوجيون الأوروبيون السفرَ إلى البلدان النائية لدراسة ثقافاتهم إلا بعد سنة 1890.[1]

ويعدّ الأنثروبولوجي البريطاني برونيسلاو مالينوفسكي (1844- 1942) أوّلَ باحثٍ يقيم مع جماعة من الناس لمدة طويلة ويكتب حول كيفيات جمع المعطيات. فقد قدّم في عشرينات القرن الماضي العملَ الميدانيَّ المكثفَ كمنهجٍ جديدٍ ودافع على فكرة فصل الملاحظة المباشرة وأقوال الأهالي عن استنتاجات الملاحِظ. وحاجج على أن أفضلَ طريقةٍ لبلوغ فهمٍ عميقٍ لجماعةٍ أو ثقافةٍ معينةٍ هي تفاعلُ الباحثِ معها بشكلٍ مباشرٍ والعيشُ مع الأهالي لمدة طويلة وتعلّمُ عاداتهم ومعتقداتهم وعملياتهم الاجتماعية.

وسرعان ما انتقل الباحثون إلى تطبيق تقنيات البحث الميداني على بلدانهم الخاصة. مثلا، استعمل (شارلز بوث) و(بياتريس ويب) في العقد الأخير من القرن التاسع عشر البحثَ المسحيَّ والبحثَ الميدانيَّ لدراسة الفقراء في لندن، حيث راقبا الناسَ في وضعياتهم الطبيعية واستعملا مقاربةً استقرائيةً لجمع المعطيات. وربما ظهرت تقنيةُ الملاحظة بالمشاركة أولَ مرةٍ في ألمانيا سنة 1890 عندما

[1] – حسن احجيج وجمال فزة، **البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية (نظريات وتطبيقات)**، المغرب، فضاء أدم للنشر والتوزيع، 2019، ص137.

عاش بول غوهر (P. Gohre) واشتغل كعامل متدرب لمدة ثلاثة أشهر وكان يسجل ملاحظاته كلّ ليلة في بيته، وذلك بهدف دراسة حياة العمال. وقد أثرت الأعمالُ التي نشرها على الأكاديميين، بمن فيهم عالم الاجتماع ماكس فيبر.[1]

ثانيا/ مفهوم المناهج وتطورها

1. مفهوم المنهج:

" تشتق كلمة (منهج) method من فعل (نهج) وهو يعني سلك وسار واتبع، فمنهج اسم المكان لفعل (نهج) ويعني الطريق أو السبيل. وقد عرفه المعجم الفلسفي باللغة العربية بأنه " الطريق الواضح في التعبير عن شيء، أو في عمل شيء، أو في تعليم شيء طبقا لمبادئ معينة، وبنظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة.

والكلمة بالعربية لكلمة (method) الانجليزية التي تعني طريقة، أو نظاما، وأصلها يوناني استعملها اليونانيون القدامى بمعنى البحث أو المعرفة. فالمنهج بشكل عام هو الطريقة التي يسلكها الباحث للإجابة على الاسئلة التي تثيرها المشكلة موضوع البحث، فعندما يواجه الباحث أو الانسان العادي مشكلة ما فإنه يبدأ بالتفكير كيف سيحل هذه المشكلة، والمنهج هو طريقة الحل، فأما أن تكون طريقة الحل غير علمية أي تعتمد على الأساطير والأفكار المسبقة غير المبرهن عنها، ودون الرجوع إلى واقع الظاهرة بالملاحظة والتجربة والمقارنة وفي هذه الحالة نكون أمام منهج غير علمي، وإما على العكس من ذلك ننطلق من الملاحظة والتجريب ونستعمل أدوات البحث العلمي، وهنا نكون أمام المنهج العلمي"[2]

" وعرف المنهج بأنه (فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حيث نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عالمين). كما عرف ديكارت المنهج بأنه " قواعد وثيقة سهلة تمنع مراعاتها الدقيقة من أن يؤخذ الباطل على أنه حق، وتبلغ بالنفس إلى المعرفة الصحية بكل الأشياء التي نستطيع إدراكها، دون أن نضيع في جهود غير نافعة، بل تزيد ما في النفس من علم بالتدريج."[3]

---

[1]- نفس المرجع، ص 138.

[2]- إبراهيم أبراش، **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، عمان، دار الشروق، 2008.ص 65.

[3]- نفس المرجع، ص ص: 69. 70

و "يعرفه الدكتور جمال زكي بأنه : الوسيلة التي يمكننا عن طريقها الوصول إلى الحقيقة أو مجموعة الحقائق في أي موقف من المواقف ومحاولة اختبارها للتأكد من صلاحيتها في مواقف أخرى وتعميمها لنصل إلى ما نطلق عليه اصطلاح "نظرية " وهي هدف كل بحث علمي" ويعرفه الدكتور عبد الرحمن بدوي انه: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة ومعلومة." [1]

إن مناهج البحث جميعها تشترك في انها أسلوب للتفكير المنظم الذي يعتمد على الملاحظة العلمية والحقائق والأرقام في دراسة الظواهر الاجتماعية والاقتصادية دراسة موضوعية بعيدة عن المؤثرات الشخصية أو الاتجاهات التي تمليها المصالح الذاتية."[2]

2.تطور المنهج :

" إن المنهج العلمي القائم على العلم والهادف إلى الوصول للحقيقة استنادا إلى مجموعة قواعد عامة ومنظمة، لم يظهر إلا مع مطلع عصر النهضة، أي أنه اقترن بالتفكير العلمي المتحرر من الغيبيات والافكار الكلية المعيارية، والقيمية، ومع ذلك فإننا نجد ارهاصات للمنهج العلمي عند المفكرين المسلمين، وخصوصا ابن خلدون، الذي بالرغم من انتماء تفكيره إلى نمط التفكير الفلسفي إلا أن ما جاء به من أسلوب لدراسة التاريخ والتعرف على الواقع خصوصا واقع دول شمال افريقيا يجعله حالة متميزة في عصره. فقد رفض ابن خلدون تصنيف التاريخ كعلم من العلوم الشرعية وقام بتصنيفه كعلم من العلوم العقلية، هذا التحول ترتب عنه انتقاد ابن خلدون للمنهج الذي كان سائدا في التاريخ واقترح تصورا بديلا، فالتاريخ في نظره، وان كان في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الايام والدول، والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال." [3]

" ويعتبر (فرانسيس بيكون Francis bacon 1561- 1626) الرائد الأول للمنهج التجريبي، ومن الدعاة المخلصين لتطبيق المنهج العلمي لاكتساب المعرفة الانسانية. ويعد كتابه (الأداة الجديدة للعلوم 1620) خلاصة لأفكاره حول الموضوع."[4]

[1]- مروان عبد المجيد ابراهيم، **أسس البحث العلمي**، الأردن، مؤسسة الوراق، ط1، 2000، ص 68

[2]- نفس المرجع، ص ص:68- 69.

[3]- ابراهيم ابراش، مرجع سبق ذكره، ص66.

[4]- نفس المرجع، 68.

وبالنسبة لتطور المنهج في علم الاجتماع فإن " الفضل يعود لأوجست كونت في اقحام المنهج العلمي في البحث الاجتماعي، حيث يعد القرن التاسع عشر قرن التأسيس العلمي للدراسات الاجتماعية، ويقف كونت على رأس الداعين إلى ضرورة دراسة المجتمع باستخدام نفس الأساليب المستخدمة في العلوم الطبيعية وهو واضع أسس المدرسة الوضعية.

كما دعا كونت إلى ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية تحليلية منظمة لاستخلاص القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر، موضحا أن القضاء على الطريقة الميتافيزيقية في التفكير شرط ليتمكن الناس من فهم الظواهر على حقيقتها، وهو صاحب مقولة " إن كل ما وراء الظاهر المحسوس فهو العدم." [1]

وتطور الأخذ بالمنهج العلمي في دراسة المجتمع على يد أميل دوركايم، ويعد مؤلفه (قواعد المنهج في علم الاجتماع1901) جامعا لأفكاره الأساسية في علم الاجتماع، وللمناهج التي ينبغي استخدامها في الدراسات الاجتماعية.

ثالثا/ مناهج البحث الأنثروبولوجي:

إن التقدم الكبير الذي عرفته الإنسانية يرجع بالتأكيد إلى استخدام المناهج العلمية، فليس هناك علم أو تقدم علمي إلا عن طريق البحث، وتقدم البحث العلمي يعتمد على المنهج، فكما قيل فإنه يدور معه وجودا وعدما، صدقا وزيفا. والمنهج هو أسلوب يسير على نهجه الباحث لكي يحقق الهدف من بحثه. كما أن المناهج عبارة عن مجموعة من الأسس والقواعد والخطوط المنهجية التي يستعين بها الباحث في تنظيم النشاط الإنساني الذي يقوم به من أجل التقصي عن الحقائق العلمية أو الفحص الدقيق لها. " ويرتبط تحديد الأسلوب أو المنهج العلمي الذي يستخدمه ويطبقه الباحث بدراسة ظاهرة أو مشكلة معينة بموضوع ومحتوى الظاهرة المدروسة بمعنى أن مناهج وأساليب البحث العلمي تختلف باختلاف الظواهر والمشكلات المدروسة."[2]

1. المنهج الوصفي:

أ- مفهومه: إن من ابرز المناهج المعتمدة في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية نجد المنهج الوصفي التحليلي، وإذا تتبعنا نشأة المنهج الوصفي التحليلي فنجده قديم قدم الأفكار العلمية، والحوادث المعرفية التي عرفها الإنسان عبر تاريخه الطويل،

[1] - نفس المرجع، 71.

[2] - ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم، **مناهج وأساليب البحث العلمي**، عمان، دار صفاء، 2000، ص: 33 .

ولكن برز استخدام المنهج الوصفي التحليلي بصورة اكبر في الأبحاث والدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية في العصر الحديث، خاصة لما استخدم في ثلاثة أبحاث ودراسات اكاديمية اساسية تمثلت الأولى في حركة المسح الاجتماعي في انكلترا، والثانية في فرنسا لما وظف فريدريك لوبلاي المنهج المونوجرافي، والثالثة ارتباط المنهج الوصفي التحليلي بالدراسات الأنثروبولوجية في نشأتها في الو.م.أ.

ويرى بعض الباحثين ان المنهج الوصفي التحليلي في مرحلة نشأته هو طريقة يعتمد عليها الباحث في الحصول على معلومات دقيقة تصور الواقع الاجتماعي وتسهم في تحليل ظواهره.

يعتبر المنهج الوصفي من انسب المناهج، وأقدرها التي تمكن الباحث من جمع البيانات الميدانية وتحليلها، وذلك من خلال الاعتماد على إجراء مقابلات مقننة، او وضع استبيانات، بهدف الحصول على معلومات ومعطيات اكبر من المبحوثين الذين يمثلون مجتمعا معينا، وعادة ما تشتمل الدراسة الوصفية على مجموعة من الأسئلة، الغاية من صياغتها الاستفسار عن معلومات تتعلق بالخصائص التي يكتسبها الفرد من خلال عضويته في جماعة اجتماعية، او فئة اجتماعية، فضلا عن تعرف الباحث على مظاهر السلوك، والمعتقدات، والقيم والاتجاهات والآراء الحاضرة والماضية على حد سواء.[1]

ويعرف المنهج الوصفي بأنه دراسة وتحليل وتفسير الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وتوصيف العلاقات بينها، بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها. "والمنهج الوصفي من المناهج شائعة الاستخدام بين الباحثين، وهو يهدف إلى تحديد الوضع الحالي لظاهرة معينة ومن ثم يعمل على وصفها، فهو يعتمد على دراسة الظاهرة كما هي موجودة في الواقع ويهتم بوصفها بدقة. ويعرف المنهج الوصفي بأنه احد اشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم كوصف ظاهرة أو مشكلة وتصنيفها وتحليلها واخضاعها للدراسة الدقيقة."[2]

[1] – رحاب مختار، **مناهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي في موضوع أسماء الأعلام**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف02، المجلد 11، العدد02، ديسمبر 2014، ص 97.

[2] – علي معمر عبد المومن، **البحث في العلوم الاجتماعية(الوجيز في الأساسيات والمناهج والتقنيات)**، بنغازي–ليبيا، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008، ص 287.

وهناك من يرى أن المنهج الوصفي " هو الأقرب إلى العلوم الاجتماعية من المناهج الأخرى، فالبحث الوصفي يتكيف مع ظروف الظاهرات الاجتماعية المتسمة بعدم الثبات والتغير، وتعدد المؤثرات الفاعلة فيها، فهو يتعامل مع الواقع الاجتماعي كما هو، ومن خلال جزئياته والفاعلين فيه حيث يحيط بكل أبعاد الواقع وبالتالي يشكل فهما أكثر له.

ويعرفه (بيست) Best بالقول: (البحوث الوصفية تهتم بالظروف والعلاقات القائمة، والممارسات الشائعة والمعتقدات ووجهات النظر والقيم والاتجاهات عند الناس، والعمليات الجارية والتأثيرات التي يستشعرها الأفراد، والتيارات والاتجاهات الأخذة في النمو، ويهتم البحث الوصفي في بعض الأحيان بدراسة العلاقة بين ما هو كائن وبين بعض الأحداث السابقة، والتي تكون قد أثرت أو تحكمت في تلك الأحداث والظروف."[1] كما يمكن تعريف هذا المنهج " بأنه أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية معلومة وذلك من أجل الحصول على نتائج عملية تم تفسيرها بطريقة موضوعية وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة " [2]

ب–أهداف المنهج الوصفي :

- عرض صورة دقيقة لملامح الظاهرة التي يهتم الباحث بدراستها حتى يتيسر ادراكها وفهمها فهما دقيقا .
- كشف الخلفية النظرية لموضوعات البحوث وتمهيد الطريق أمام اجراء المزيد منها ليسير الباحث بخطى ثابتة في بحثه ويكون على بينة من أمره قبل تصميم البحوث اللاحقة .
- جمع معلومات وبيانات عن الظواهر والوقائع التي يقوم الباحث بدراستها لاستخلاص دلالاتها مما يفيد وضع تصميمات عن الظاهرة أو الظواهر محل الدراسة [3]

2. المنهج المقارن:

عرف هذا المنهج بأنه " وصف ما هو قائم ثم مقارنة ما هو قائم هنا بما هو قائم هناك، أي بمعنى وصف ما هو موجود في مجتمع ما ومقارنته بما هو موجود في مجتمع آخر في ضوء اختلاف كل من المجتمعين.

[1] – إبراهيم أبراش، **مرجع سبق ذكره**، ص: 151.

[2] محمد عبيدات وآخرون، **مرجع سبق ذكره**، ص 46.

[3] مروان عبد المجيد ابراهيم ، مرجع سبق ذكره ص 127.

وقد كانت بدايات هذا المنهج في القرن التاسع عشر مقتصرة على وصف ما هو قائم في مجتمع معين ومقارنته بما هو قائم في مجتمع أخر، ولكن بتطور استخدام هذا المنهج لم يعد يقتصر عمله على مجرد المقارنة ولكنه ليشمل عملية التأويل والتفسير في كل حالة وبمعنى آخر أصبح المنهج يهدف إلى اكتشاف القوانين الخاصة في ظل ثقافة ما، وفي ظل ظروف اجتماعية وحضارية خاصة بهذه الثقافة."[1]

" ويصلح المنهج المقارن للتطبيق على كافة العلوم الاجتماعية، فالبحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي بطبيعته يقبل المقارنات، بل تعتبر المقارنة من أهم الأسس التي اعتمدها علماء والأنثروبولوجيا وحتى علماء الاجتماع المؤسسون في بحوثهم الاجتماعية الأولى وفي وضع أسس علم الاجتماع، فقد رأى (دوركايم) وغيره من علماء الاجتماع أن المنهج المقارن هو الأداة الفضلى لبحوث علم الاجتماع. ويؤكد (دوركايم) أنه من المفيد في أغلب الحالات، بسط المقارنة على عدة مجتمعات من نموذج واحد أو نماذج مختلفة، ذلك أن مجتمعين من نموذج واحد ليسا شيئا واحدا مطلقا، فكل مجتمع له فرديته الخاصة به، لذا فمن المفيد المقارنة بين مجتمعين أو عدة مجتمعات ليست أوضاعها واحدة بالضبط وبذلك نحصل على سلسلة تقلبات جديدة نقارن بينها وبين التقلبات التي تنجم في ذات الوقت وفي كل بلد من هذه البلدان عن الوضع المقصود بالدراسة." [2]

" كما يُعتمد على منهج البحث السببي المقارن لتحديد الاسباب المحتملة التي كان لها الأثر الفعال على السلوك المدروس، ليس من خلال التجربة وإنما من خلال مقارنة من يسلك ذلك السلوك او يتصف به بمن لا يسلكه أو يتصف به، وبذلك تحاول البحوث السببية المقارنة ان تكشف عن الاسباب التي ادت إلى حدوث الظاهرة وكيفية حدوثها أي إنها تقارن وجوه الشبه والاختلاف بين الظواهر بغية الكشف عن العوامل والظروف التي تصاحب ظاهرة بعينها. باختصار يركز هذا النوع من المناهج على تحديد العوامل المسؤولة عن المشكلة وكيف ولماذا تحدث الظاهرة المبحوثة."[3]

" ويرى العديد من الباحثين الاجتماعين أن المنهج المقارن في البحث الاجتماعي ينوب عن التجريب في العلوم الطبيعية، فالمقارنة سواء ذات الامتداد الزمني أو ذات الامتداد المكاني هي بمثابة التجريب في البحث الاجتماعي، فمن خلالها يستطيع الباحث استبصار أوجه التحول والتطور التي تطرأ على الظاهرة، وماهي المؤثرات التي تعطي للظاهرة طابعا محددا في ظروف محددة كما

[1] – علي معمر عبد المومن، مرجع سبق ذكره، ص:351.

[2] – إبراهيم أبراش، مرجع سبق ذكره، ص: 177

[3] – علي معمر عبد المومن، مرجع سبق ذكره، ص ص: 302-303.

يمكن عن طريق المقارنة استخلاص القوانين التي تتحكم في بعض الظواهر الاجتماعية. يقول (دوركايم): إنه ليس لدينا سوى طريقة واحدة لنتبين وجود علاقة منطقية بين حدثين –كالعلاقة السببية– وهذه الطريقة في نظره هي عمل مقارنة بين الحالتين اللتين يكون فيهما هذان الحادثان إما حاضرين كلاهما، وإما غائبين كلاهما، ثم البحث عما إذا كانت التقلبات التي تطرأ عليها في هذه الظروف المختلفة تدل على تعلق أحدهما بالأخر."[1]

إن المنهج المقارن يستخدم في الأنثروبولوجيا بجميع فروعها ومجالاتها الدراسية، فأي بحث انثروبولوجي ينطوي بالضرورة على مقارنات بين متغيرين أو أكثر، ويقصد بالمنهج المقارن في مجال الأنثروبولوجيا دراسة الظواهر الاجتماعية في مجتمعات مختلفة أو أنماط محددة من المجتمعات، ومقارنة النظم الاجتماعية من حيث استمرارها وتطورها والتغير الذي يطرأ عليها، أو حتى مقارنة مجتمعات بعضها ببعض.[2]

وتتحدد مجالات المقارنة في الدراسة الأنثروبولوجية في النقاط التالية[3]:

- دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الأنماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي.
- دراسة نمو وتطور مختلف أنماط الشخصية والاتجاهات السيكولوجية والاجتماعية في مجتمعات مختلفة وثقافات متعددة.
- دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات (تنظيمات سياسية – بيروقراطية – صناعية– مهنية. .الخ)، وكذلك دراسة النظم الاجتماعية المختلفة (الزواج– الأسرة – القرابة...)وذلك في مجتمعات مختلفة.
- تحليل ومقارنة مجتمعات بأكملها، وخاصة من خلال النمط الرئيسي السائد للنظم الاجتماعية والثقافية.

وفي الدراسات الأنثروبولوجية الحقلية يميل بعض الأنثروبولوجيون وخاصة في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى تركيز دراساتهم في مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات، هذا الذي يعرف بـ " تقليد مالينوفسكي"، لأن مالينوفسكي كان يرى أن فهم ثقافة شعب من الشعوب البدائية لا يمكن له أن يكون إلا من خلال دراستها دراسة معمقة، لذلك دعا إلى ضرورة تخصص الباحث الواحد في مجتمع واحد فقط أو على الأكثر ثلاثة مجتمعات لا يزيد عليها، وذلك ما كان لمالينوفسكي حيث قضى أربع سنوات

[1] – إبراهيم أبراش، مرجع سبق ذكره، ص ص: 178– 179.

[2]– مصطفى عمر، **إشكالية المنهج في الأنثروبولوجيا –** ضمن كتاب جماعي بعنوان : **قضايا العلوم الإنسانة (إشكالية المنهج)**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، دون سنة نشر، ص: 113

[3]– مصطفى عمر، مرجع سبق ذكره، ص: 113– 114.

كاملة في دراسته لقبائل " التروبرياند" بمنطقة "ميلانيزيا" تعلم خلالها لغة الأهالي وتعمق في حياتهم الاجتماعية، لكن هذه الطريقة- ولاشك – تتعارض مع إجراء المقارنات بين الأبنية الاجتماعية المختلفة.[1]

ويلاحظ إيفانز بريتشارد هذا التعارض ويدعو إلى نوع من المقارنة من خلال قيام كل أنثروبولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسته لمجتمع واحد، ثم يقوم هذا الباحث أو باحثون آخرون بالتحقق من صحة و واقعية تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات أخرى، وهذا ما قام به " شنيدر" حين فحصه للنتائج التي توصل إليها " بريتشارد " في دراسته لقبائل " النوير " من خلال تطبيقها على قبائل " الزولوا".[2]

3. المنهج التاريخي:

يعتبر المنهج التاريخي أحد أهم المناهج المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية والثقافية بشكل خاص، لذلك يؤكد أصحاب المدرسة التاريخية على أهمية مفهوم " التاريخ الثقافي"، ويرى" ميتلند" أن الأنثروبولوجيا عليها أن تختار بين أن تكون تاريخية أو ألا تصبح شيئا على الإطلاق، وهي نفس رؤية " بيركت سميت " الذي يرى أن الحاضر لا يمكن فهمه إلا كنتاج للماضي، وبذلك فإن "المشكلة الإثنولوجية "كما يتصورها سميث هي مشكلة تاريخية في جوهرها.

وتتجه الأنثروبولوجيا مثلما يرى " سابير" ليعترف بها بأنها علم تاريخي أساسا، ذلك أن المعلومات التي يتم الحصول عليها لا يمكن فهمها في ذاتها أو في صلتها بعضا البعض، ولكن بوصفها نهاية تتابع معين للأحداث، لذلك لابد من توافر نوع من الفهم التاريخي للوقائع باعتبارها الهدف الإثنولوجي الخاص بالباحث.[3]

ويعتبر البحث التاريخي للثقافة مطلبا هاما وأساسيا في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية، ذلك ما يبين الاهتمام الواضح بنشأة الثقافة وتطورها وأصولها، وعملية إعادة بناء الثقافة، وكذلك الكشف عن التتابع الزمني الذي حدثت فيه احتكاكات واتصالات ثقافية بين الجماعات والشعوب. كما أن الاهتمام بتاريخ الإنسان هو أحد المصادر الأساسية للدراسات الأنثروبولوجية، ويتضح ذلك في الدراسات المقارنة للمجتمعات والنظم الاجتماعية، وفي محاولة إعادة بناء تاريخ مجتمعات معينة، كما يتضح أيضا في اتجاه المدرسة

[1]- عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، مرجع سابق، ص 292-293.

[2]- نفس المرجع، ص 293.

[3]- مصطفى عمر، مرجع سبق ذكره، ص 109- 110

الأمريكية للأنثروبولوجيا نحو الاهتمام بالمصادر التاريخية فيما يعرف ب" الذاكرة الثقافية" وهي تشير إلى الاعتماد على ذاكرة كبار السن من القبائل الهندية للحصول على معلومات من هذه القبائل[1]

4. المنهج البنائي الوظيفي:

رغم محاولة ابتعاد الاتجاه الوظيفي عن تلك المقارنات التي حاولت أن تعزل النظم الاجتماعية عن سياقها " البنائي"، إلا أن المقارنة بقيت لها قيمتها في التحليل الوظيفي، فقد رأى بعض العلماء أن الاتجاه الوظيفي هدفه هو التوصل إلى تعميمات تتعلق بالصلات المتبادلة بين النظم في المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة، وتصنيف المجتمعات من أجل إدراك نقاط التشابه بينها، لهذا حاول الاتجاه الوظيفي المزاوجة بين التحليل الوظيفي والمقارنة في الدراسات الأنثروبولوجية، من خلال محاولة تناول الظواهر الاجتماعية في سياقها الكلي، وكذلك التعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام بالنسبة للبناء الاجتماعي الكلي.

ولقد عارض مالينوفسكي نظرة بعض العلماء خاصة المنتمين منهم للمدرسة الأمريكية، والذين ينظرون للثقافة باعتبارها مجموعة من العناصر المنفصلة والمتباينة من حيث نشأتها، حيث رأى مالينوفسكي وبنظرة – وظيفية — أن كل ثقافة هي عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل شبيه بالكائن الحي لا يمكن فهم جزء منه إلا بالرجوع إلى الأجزاء الأخرى، كما سعى مالينوفسكي إلى تحديد الوظيفة النهائية للثقافة الإنسانية، في الوقت الذي يوجه (راد كليف براون) نظرته للمجتمع وليس للثقافة، فيؤكد أن المجتمع يتألف من أجزاء متداخلة وظيفيا هدفها وصف وتصنيف الأبنية والظواهر المجتمعية، والوصول بالتالي إلى صياغة القوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية.[2]

[1]- نفس المرجع، ص ص 111-112

[2]- سفيان ميمون، مرجع سبق ذكره، ص ص58-59.

رابعا / تقنيات البحث الميداني:

إن البحث الميداني يحتاج إلى تقنيات يستعين بها الباحث في دراسته من أجل إتمام عملية جمع البيانات والمعلومات عن المجتمع أو الظاهرة محل الدراسة والتي تمكن من تحقيق الأهداف التي انطلق منها الباحث، واختيار الأداة ولتقنية المناسبة ليس عملية اعتباطية، بل تتحدد نوع الأداة انطلاقا من طبيعة الموضوع ومن طبيعة مجتمع البحث المستهدف بالدراسة، وفيما يلي سنتطرق إلى أهم التقنيات المستخدمة في البحث الأنثروبولوجي:

- **الملاحظة**
- **الملاحظة بالمشاركة**
- **المقابلة**
- **التسجيل والتصوير التقني (الصوت والصورة)**
- **الاخباريون**
- **سيرة الحياة**
- **الاختبارات النفسية**

1. الملاحظة:

يَعتبر الباحثون الأنثروبولوجيون الملاحظة من أهم وسائل البحث وجمع المعلومات، فقد استخدمت في جمع المعلومات لدى جميع الشعوب، البدائية كانت أم متحضرة، في الماضي أو في الحاضر، وذلك من أجل الحصول على المعلومات عن الأشياء والمواقف المحيطة بهم والتعرف على ظواهر الحياة ومشكلاتهم. فينزل الباحث إلى الميدان ويلاحظ الناس ويتابع أنشطتهم المختلفة في كل مكان وفي كل زمان، وفي القرية، في السوق، في الحقل، في العمل....، وفي أوقات مختلفة وفي ومناسبات مختلفة كالأعياد والأعياد والأعراس والمآتم....، فيسجل هذا الباحث كل ما يلاحظه من سلوكات مادية ومعنوية، ومن أشياء وأدوات مختلفة.

ولعل ما يميز الملاحظة كإجراء بحثي حي ومباشر أنها تتصل بسلوك الأفراد الفعلي في بعض المواقف الواقعية في الحياة بحيث يمكن ملاحظتها دون عناء كبير أو التي يمكن تكرارها بدون جهد، ثم أنها تعتمد في جميع البيانات في الأحوال التي يبدي فيها المبحوثون نوعا من المقاومة للباحث، ويرفضون الإجابة عن أسئلته.[1]

وفي هذا الصدد، لا يمكن أن ننكر دور وقيمة الملاحظة عند الباحث الأنثروبولوجي، فبالرغم ما تثيره من صعوبات وما تفرضه أيضا على الباحث من طاقات جسدية ونفسية واجتماعية وثقافية ومعرفية وأخلاقية، فإنها تبقى مهمة وأساسية أثناء النزول إلى الميدان وجمع مادة البحث وتسجيلها مباشرة من مصادرها ومن أفواه أصحابها ومن يومياتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعقائدية، فالباحث ينزل إلى الميدان أين يقف موقف الملاحظ والمعاين والمشاهد، ويرى ويسمع ويحس ثم ينقل ويسجل ويدون في كراسته كالملاحظ بصمت دون أن يأبه به أحد أثناء متابعته للمبحوثين وأثناء معاينته نشاطهم اليومي.

غير أن الملاحظة قد تكشف في بعض الحالات عن قصورها ومحدودية مردودها حيث لا تفي دوما وأبدا في كل الحلات بالغرض العلمي المطلوب، وبالتالي لا تمكن الباحث من جمع مادته وتدوين معلوماته الكافية حول موضوع الدراسة، ففي مثل هذا الحالة قد يجد الباحث نفسه عاجزا ومحدود الحركة وبعيدا عن تحقيق مبتغاه. الأمر الذي يفرض عليه البحث عن وسيلة بحث أخرى وعن إجراء تقني أكثر فاعلية حتى يقترب أكثر من مادة موضوعه فيتعدى مستوى الملاحظة ليمر إلى مستوى الاندماج الكلي مع الأهالي، حيث يشاركهم نشاطهم اليومي كعضو ينتمي إلى جماعتهم. وقد تصل به درجة الاندماج إلى حالة يوشك أن يكون فيها باحثا وموضوع البحث في نفس الوقت، فتتحول في هذه الحالة الملاحظة البسيطة المحدودة إلى الملاحظة المشاركة أو كما يحلو للبعض تسميتها الملاحظة بالمشاركة.[2]

[1]- محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص77.

[2]- محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص78.

2. الملاحظة بالمشاركة:

لا يمكن فصلُ البحث الإثنوغرافي في البحث الكيفي عن البحث الميداني والملاحظة بالمشاركة. فالباحثون الذين يمارسون البحثَ الإثنوغرافي يستعملون الإثنوغرافيا والبحث الميداني والملاحظة بالمشاركة كمترادفات: فكلُّها تعني قضاءَ وقتٍ طويلٍ في ملاحظة الناس والحديث معهم حول ما يفعلونه ويفكرون فيه ويقولونه، وذلك بهدف اكتشاف كيف يفهمون عالمهم.[1]

ويعرف الباحث الأنثروبولوجي د.عاطف وصفي الملاحظة المشاركة بأنها " بكل بساطة مشاركة الباحث في النشاط الاجتماعي والثقافي الذي يقوم به أهالي منطقة البحث هذا من جهة، ومن جهلة ثانية الحضور الشخصي والدائم والمستمر بينهم طيلة مدة انجاز البحث وجمع مادته.

لقد أدّت الملاحظة المشاركة كإجراء بحثي دورا مهما في تطور وتقدم البحث الأنثروبولوجي الميداني، حيث حررت الباحث من الحواجز التي تحول بينه وبين موضوعه وأهلته للاتصال والتواصل العضوي مع الأهالي حيث اندمج معهم وفي جماعتهم وفي منطقتهم اندماجا قويا وشبه كلي إن لم يكن كليا. وهذا ما يميز الملاحظة البسيطة عن الملاحظة المشاركة، فقد وصفت الملاحظة البسيطة بالدراسة من الخارج في حين وصفت الملاحظة المشاركة بالدراسة من الداخل.[2]

لا يمكن الاعتقاد أن تبني الباحث الأنثروبولوجي الميداني الملاحظة المشاركة عملية سهلة وبسيطة يمكن القيام بها ف مدة زمنية قصيرة .... أن الملاحظة المشاركة كسلوك بحثي علمية صعبة ومعقدة وشاقة، تفرض على الباحث شروطا وإجراءات مادية ومعنوية وسلوكية قد لا يقدر أحيانا على تحملها والتكفل بها من حيث الطرح الثقافي والمعرفي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي والعقائدي، فإن الباحث يذهب إلى المجتمع الذي يدرسه ليعيش فيه فترة من الزمن لاكتساب ثقة الأفراد وجمع المعلومات اللازمة ولا يبدأ الزيارة بالدراسة وتوجيه الأسئلة، وإنما يتعلم أسلوب الحياة الجديدة، فعليه أن يتكلم لغتهم ويستخدم في تفكيره نفس التصورات أو المفاهيم السائدة ويشعر بالقيم التي يعتنقونها ويعمل معهم ويشاركهم طعامهم واحتفالاتهم وارتداء ملابسهم.[3]

[1]- حسن احجيج و.جمال فزة، مرجع سبق ذكره، ص 140-141..

[2]- محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص78.

[3]- نفس المرجع، ص79.

3. المقابلة:

تعد المقابلة من الإجراءات المهمة التي قد يعتمدها الباحث في جمع مادة بحثه وبالتالي فإن شأنها شأن الملاحظة والملاحظة المشاركة حيث يتجه الباحث نحو أناس يقابلهم ويتحدث معهم حول موضوع بحثه وكل ما يتعلق به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وذلك حسب الظروف والحالات النفسية والثقافية والاجتماعية للمبحوثين.

ويعرفها الدكتور مصطفى سويف بقوله: " المقابلة هي مجموعة من الأسئلة أو من وحدات الحديث يوجهها طرف إلى طرف آخر، في موقف مواجهة، حسب خطة معينة للحصول على معلومات عن سلوك الطرف الآخر أو سمات شخصية أو للتأثير في هذا السلوك.[1]

وتشير المقابلة إلى ذلك الحوار اللفظي الذي يتم بين طرفين هما الباحث والمبحوث، حيث يقوم الباحث بتوجيه مجموعة من الأسئلة للمبحوث من أجل الإجابة عليها، ونجد في أدبيات منهجية البحث في العلوم الاجتماعية عموما أن المقابلة قسمان : موجهة وغير موجهة، غير أن النوع الأكثر استخداما في حقل الانثروبولوجيا هو " المقابلة غير الموجهة

حيث يتم استخدام المقابلة غبر "الموجهة " من خلال مقابلة الباحث لبعض أفراد المجتمع الذين لهم سمعة طيبة والذين لهم خبرة بموضوع البحث، ولهم أيضا اتصال بهذا الموضوع، ويشترط في الباحث أن يعمل على كسب ثقة المبحوثين من أجل الإدلاء بمعلومات غير مزيفة عن الواقع المدروس – وتعرف هذه الطريقة أيضا والتي يتم فيها استخدام أهل الخبرة في معرفة الواقع المدروس بطريقة " الاعتماد على الإخباريين" –، وعليه ألا يعمل على توجيه الإجابة نحو وجهة معينة، ويمكن للباحث استخدام آلات التسجيل بشرط أن يكون قد كسب ثقة المبحوثين، أما إذا أحس أنه لم يكسب ثقتهم بعد فعليه تسجيل الملومات بطريقة لا تثير الشك.[2]

أما عن طريقة المقابلة الموجهة المقابلة الموجهة Guided Interview والتي يتم خلالها تحديد مجموعة من الأسئلة في استمارة بحث فإنها نادرة الاستخدام في الدراسات الأنثروبولوجية، وهي لا تتناسب مع طبيعة هذه الدراسات لاتصال هذه الأخيرة أكثر

[1]– مصطفى سويف، **مقدمة لعلم النفس الاجتماعي**، القاهرة، مكتبة الأنجلو، 1970، ص 379.

[2]– عاطف وصفي – الأنثروبولوجيا الثقافية، مرجع سبق ذكره، ص289.

بالمجتمعات البدائية التي لا يعرف بعضها القراءة والكتابة من جهة، والتي لم تتعود على مثل هذه الطرق من جهة ثانية، لذلك فإن المقابلة الموجهة هي أكثر اتصالا ببحوث علم الاجتماع الذي يعنى بشكل خاص بالمجتمعات المتمدنة[1]

4. التسجيل والتصوير التقني (الصوت والصورة)

لقد عرف البحث الميداني تطورا كبيرا وذلك لاستعانة الباحث الأنثروبولوجي أثناء تواجده في الميدان بالوسائل السمعية البصرية المتطورة التي سمحت له بتسجيل كل شاردة وواردة وكل ما عجز أو غاب عن تسجيله الكتابي أو عجزت ذاكرته استيعابه وتذكره. لقد بدأ يستعمل وسائل متعددة وجد متطورة في التسجيل الصوتي إذا كان الموضوع أساسا صوتيا أو التسجيل الفوتوغرافي إذا اقتضى الأمر لاستعمال الصور وتصوير بعض الأحداث أو بعض السلوكات سواء صورة جامدة أو تسجيل الأحداث والممارسات في وقتها الآني في صورة فيلم يعود إلى مشاهدته ورؤيته الأحداث من جديد وهي تتحرك وقتما شاء وأينما شاء.

لقد قدمت هذه الوسائل السمعية البصرية خدمات جليلة للباحث الميداني وأمدته بطاقات موضوعاتية غزيرة كما ساعدته في تسيير وقت البحث واقتصاد طاقاته التي لم يعد يستثمرها في العودة إلى الميدان مناسبات مختلفة لرؤية نفس الحدث أو المشهد، فيكفيه إعادة سماع التسجيل الصوتي أو إعادة مشاهدة التسجيل الفوتوغرافي أو الفيلم ليعيش ميدانه دوما وأبدا قريبا منه وحيا يتحرك أمامه.

لقد مكنت وسائل التسجيل والتصوير الباحث من أن يسجل بدقة كل الكلمات، ونبرات الصوت بنفس الطريقة التي يتلفظها ويتكلم بها الشخص المبحوث، كما أنه يمكن الاحتفاظ بها أطول مدة ممكنة، لاسترجاعها وتحليلها وقتما يشاء الباحث، ومن الملاحظ أن التسجيل في المواقف الاجتماعية التي تحدث وتنشأ بين أفراد الجماعة أمر في غاية الأهمية، وذلك لصعوبة التدوين والاحتفاظ بكل ما ذكره كل فرد في هذا الموقف.[2]

لقد أدرك عدد من الأنثروبولوجيون قيمة الصورة في تدعيم البحث الأنثروبولوجي الميداني، فاستفادوا كثيرا من آلة التصوير ومن الصورة التي زادت في قيمة أبحاثهم ودراساتهم والتي أصبحت مصادر أساسية في البحث الأنثروبولوجي المدعم بالصورة، ونذكر في هذا الصدد بعض من هذه الدراسات:

[1]- نفس المرجع، ص290.

[2]- محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص84.

- مرجريت ميد وج. باتيسون: **الشخصية الباليزية** – تحليل فوتوجرافي- 1942.
- مرجريت ميد وماك جريجور: **نمو الثقافة – دراسة فوتوغرافية للطفولة الباليزية** – 1951.
- جون كولييه: **الأنثروبولوجية البصرية** – الفوتوغرافيا كطريقة بحث- 1967.
- بول بايرز: **التصوير الفوتوغرافي ودوره في تسجيل وتحليل البانات السلوكية**- 1964.[1]

5. الاخباريون:

الإخباريون هم الأشخاص العارفون ب "النشاط"، أو "الحدث"، أو "القضية " موضوع البحث، بمعنى ان الباحث الأنثروبولوجي، إذا اراد مثلا ان يقوم بجمع مادة علمية حول " التنشئة الاجتماعية للأبناء" فعليه في هذه الحالة ان يسأل الآباء عن اساليب تعاملهم مع الأبناء من الجنسين من حيث التوجه والمراقبة والنصح والعقاب والتدريب ...الخ، كما ان عليه أن يسأل ايضا المشتغلين بالتربية والتعليم والتقويم ويسأل الأجداد حول رؤيتهم لطرق التربية المعاصرة، كما يسأل الأبناء في رؤيتهم للمعاملة التي يلقونها داخل الأسرة.

وتحديد فئة الإخباريين من قبل الباحث, يرجع بدرجة كبيرة, إلى نوعية الدراسة او البحث، فإذا كانت الدراسة حول ظاهرة النزاعات والصراعات بالطرق العرفية, فالباحث في هذه الحالة يتصل برؤساء القبائل والأعيان، والأفراد العارفون الذي يعود إليهم في فضل النزاعات والخصومات الأهلية، ولابد على الباحث الأنثروبولوجي ان يعمق صلاته بفئة الإخباريين، وحبذا الوصول معهم إلى درجة الألفة والثقة, كي يحصل منهم على المعلومات المفيدة, والكافية, التي تخص موضوع البحث أو الدراسة, ويمكن للباحث لتعميق الصلة بالإخباريين ان يقدم لهم بعض الهدايا او الخدمات, دون ان يجعل ذلك ثمنا أو مقابلا للمعلومات التي تقدم له .[2]

6. سيرة الحياة (السيرة التاريخية)

تستخدم سيرة الحياة بشكل كبير خلال الدراسات الأنثروبولوجية، وسيرة الحياة تعبر عن اتجاه الباحث نحو شخص معين غالبا ما تكون له خبرة ودراية بمجتمع الدراسة طالبا منه أن يروي له قصة أو سيرة حياته، غير أن هذه القصة (السيرة – التاريخ) لا تخص شخص الراوي فقط، ولكن هذا الراوي مدخل لفهم الجماعة التي ينتمي إليها، فهدف سيرة الحياة إذا هو إعادة بناء الواقع

[1]- نفس المرجع، ص86.

[2]- رحاب مختار، مرجع سبق ذكره، ص 97.

الاجتماعي من خلال " قصة أو ترجمة حياة عدة أشخاص بطلها واحد، لأن المترجمين يعملون على مفصلة واقع حياة شخصية داخل محيط اجتماعي معين، وذلك من وجهة نظر شخصية غالبا ما تكون غير بريئة ولا تامة، فقد تتعدد رواياتها من زمن لآخر، كما قد تتعدد فهومها وتأويلاتها"

وذلك ما يدفع الباحث أن يكون حريصا أكثر في التعامل مع رواية الرواة من خلال بعض التقنيات مثل إعادة المقابلة مع الراوي بعد فترة زمنية أو مقابلة أشخاص آخرين والرجوع لبعض الوثائق إن أمكن ذلك. [1]

ويجب على الباحث هنا أن يبني صلة طيبة مع الفرد المعني حتى تتوثق العلاقة، ويفضي الفرد المعني بمعلومات معتمدة وصادقة يمكن الاعتماد عليها. هذه الطريقة جيدة. واجتماعية وتعطي للفرد المعني نوعاً من الأهمية، ولكنها في نفس الوقت لا تخلو ن صعوبات منها: صعوبة تذكر الأحداث القديمة وإمكانية الإدلاء بمعلومات كاذبة.

7. الاختبارات النفسية:

ويستخدم الأنثروبولوجيون بعض الاختبارات النفسية خلال دراساتهم الميدانية من أجل تحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ومن هذه الاختبارات اختبار " الرورشاخ" وهو اختبار إسقاطي للشخصية صممه السيكاتري السويسري هرمان روشاخ Rorschach Hermann سنة 1920[2]،وهو يتكون من عشر لوحات، رسم على كل لوحة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتخذت شكلا غير منتظم، ويطلب من الشخص أن يصف ما يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة، وبناء على هذا يمكن التوصل لتحديد بعض خصائص شخصية الفرد، وتستخدم هذه الطريقة خاصة في مجال الانثروبولوجيا الثقافية وخاصة لدى المهتمين بالعلاقة بين الثقافة والشخصية.[3]

[1] – سفيان ميمون، مرجع سبق ذكره، ص 63

[2] - Catherine Chabert, **Psychanalyse et méthodes projectives**, France, Dunod, 1998, P.47

[3] – نفس المرجع، نفس الصفحة.

خاتمـــــــــــــة

خاتمة

خاتمة:

ذلك هو علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا، استعرضنا بعض جوانبه المختلفة التي نرى أنها يمكن أن تقدم لمحة عن هذا العلم، غير أن ثمة نقاطً كثيرة أسقطناها من حسابنا، لا لأنها ليست هامة، ولكن لأننا لا نستطيع أن نعالج كل النقاط لضيق المقام، ويمكن للطلبة العودة إليها من خلال المراجع التي اعتمدناها في تأليف هذا العمل.

إننا حاولنا، فيما قدمنا، أن نعرف الطالب بهذا العلم وهذا من خلال التطرق لمفهوم الأنثروبولوجيا وموضوعها، بالإضافة إلى محاولة التمييز بين الأنثروبولوجيا وبعض المفاهيم المرتبطة بها حتى لا يقع الطالب في التناقض أو الخلط بين هذه المفاهيم. كما قمنا بتوضيح أهمية الأنثروبولوجيا بالإضافة إلى شرح الأهداف الرئيسية لهذا العلم.

وقمنا باستعراض أهم المراحل التاريخية التي مرت بها الأنثروبولوجيا في تاريخها، وذلك بداية من العصور القديمة عند المصريين القدماء والإغريق والرومان والصينين القدماء، مرورا بالعصور الوسطى بتسليط الضوء على الفكر الانثروبولوجي عن الأوربيين والعرب، وصولا إلى عصر النهضة الأوربية والقرن العشرين أين اتسع مفهوم الأنثروبولوجيا في معناها الحقيقي العليم المتخصص.

كما تم في المحاضرة الثالثة شرح العلاقة الوطيدة بين علم الإنسان وباقي العلوم الأخرى سواء تلك التي تنتمي إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية أو التي تنتمي إلى حقل العلوم الطبيعية.

وبالنسبة لفروع الأنثروبولوجيا، فقد حاولنا التركيز على أهم تقسيمات علم الانسان كالأنثروبولوجيا الطبيعية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا الثقافية. كما تطرقنا لأهم الاتجاهات أو التيارات النظرية الموجودة في الأنثروبولوجيا كالاتجاه التطوري و الانتشاري والاتجاه الوظيفي.

أما المحاضرة السادسة فكانت مخصصة للحديث عن الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال، وشرحنا فيها كيف كانت علاقة الأنثروبولوجيا بالظاهرة الاستعمارية، بالإضافة إلى إعطاء لمحة عن الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر أثناء الاستعمار

الفرنسي. وبالنسبة للمحاضرة السابعة ففيها تكلمنا عن أهم المناهج المستخدمة في ميدان البحث الأنثروبولوجي، بالإضافة إلى تخصيص جانب للحديث عن أبرز التقنيات التي يعتمد عليها الباحث في جمعه للمادة الأنثروبولوجية.

إن الأنثروبولوجيا حالها حال بقية العلوم الأخرى التي نشأت من حاجات الإنسان المتعددة، جاءت لتساهم في إثراء حياة الإنسان بالوضوح وفك طلاسم الكثير من التعقيدات المتمثلة بطبيعته والنظم التي يعيش فيها وتطورات حياته والسلسلة التاريخية التي مرت بها ثقافاته المختلفة وغيرها من الأمور التي تحاول رصدها الأنثروبولوجيا لتعكس صورة أشد دقة لمعترك حياة ذلك الإنسان، لذلك لا يمكن القول إلا أنها قد زادت من رصيد التفحص الدقيق في الحياة البشرية وتراكماتها المعرفية وقد جعلت من رؤيا الحياة البشرية أكثر وضوحًا ودون تعقيد يذكر، فمن المؤكد أنها وضعت إسهامات عديدة في الميدان الإنساني على اعتبار أنها ن اوجدت للإنسان بكل متضمناته .

لقد ساهمت الأنثروبولوجيا في مساعدتنا على فهم أنفسنا بشكلٍ أفضل، وربما تكون واحدة من أفضل الطرق لكسب المعرفة الذاتية، هو معرفة قدر المستطاع ما يتعلق بثقافة الإنسان الخاصة، لغرض فهم القوى التي تشكَّل تفكيرنا والقيم والسلوكات الأخرى وأفضل وسيلة لتعلَّم ثقافاتنا هو أن نتعلَّم عن الثقافات الأخرى، ويكون من خلال معرفة مكونات ثقافاتنا وأنماطها والسمات التي طرحتها وكيفية تشكيلها ومدى اندماجها مع المؤثرات الحياتية الأخرى وكيفية استقبالها للناتج الثقافي الوافد من الخارج، بحيث تصبح لنا صورة أوضح عن الحياة التي نحيا بها لنتمكن من التعامل مع تعقيداتها بالطريقة المثلى.

وفي خضم هذا التعقيد الهائل الذي نعيشه اليوم تحاول الأنثروبولوجيا أن تسهم في فك ملابسات التغيرات القيمية والثقافية الكثيرة والتطورات في النظم وتبدلات الطقوس وكذلك استشراف المستقبل وفق المعطيات التي يمكن الحصول عليها من الميدان، إنها تقرأ الواقع بعين فاحصة دقيقة لتكون لها مجموعة من الأفكار القابلة للتفسير وللكشف عن غموض الكثير من المعطيات التي باتت بحاجة إلى وضع تفسير لها.

قائمة المراجع



قائمة المراجع

أولا / المراجع باللغة العربية:

أ– الكتب :

1) إبراهيم أبراش، **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، عمان، دار الشروق، 2008.

2) أحمد أبو زيد، **البناء الاجتماعي – الأنساق–**، الجزء الثاني، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967.

3) أكبر أحمد، **نحو علم الإنسان الإسلامي**، ترجمة: عبد الغني خلف الله، فيرجينيا– الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1990.

4) آلان برنارد، **التاريخ والنظرية في الأنثروبولوجيا**، ترجمة: سيد فارس، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2017.

5) بلقاسم بن زنين، **الجزائر في الفكر الأنثروبولوجي**، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي – بكر بلقايد، تلمسان، 2000 – 2001.

6) توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**، ترجمة: لاهاي حسين، منشورات ضفاف، العراق/ والاختلاف، الجزائر، 2013.

7) جاك لومبار، **مدخل إلى الإثنولوجيا**، ترجمة: حسن قبيسي، الدار البيضاء – المغرب، المركز الثقافي العربي،1997.

8) جيرار لكلرك، **الأنثروبولوجيا والاستعمار**، ترجمة: جورج كتورة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1990..

9) حسن احجيج وجمال فزة، **البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية (نظريات وتطبيقات)**، المغرب، فضاء أدم للنشر والتوزيع، 2019.

10)حسن شحاتة سعفان، **علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**، بيروت، منشورات مكتبة العرفان، ب–س.

11)حسين عبد الحميد رشوان، **علم الاجتماع النفسي – المجتمع و الثقافة و الشخصية–** ، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2010.

12)حسين عبد الحميد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجال النظري**، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1988.

13)حسين عبد الحميد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2003.

14)خليل عبد الرحمان المعايطة، **علم النفس الاجتماعي**، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، 2007.

15)دوني كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة: قاسم المقداد، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002

16)رالف بيلز وهاري هويجر، **مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة**، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، القاهرة دار النهضة المصرية، 1977.

17)رالف لنتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة: عبد الملك الناشف، بيروت- صيدا، المكتبة العصرية، 1967.

18)رالف لينتون، **دراسة الإنسان**، ترجمة: عبد الملك الناشف، بيروت المكتبة العصرية، ، 1964.

19)ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم، **مناهج وأساليب البحث العلمي**، عمان، دار صفاء، 2000.

20)سمير سعيد حجازي، **معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان المذاهب النقدية والأدبية**، مصر، دار الطلائع، ب ت.

21)سوسن شاكر مجيد، **اضطرابات الشخصية (أنماطها ، قياسها)** ، عمان، دار الصفاء، ط2، 2015.

22)عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافة**، بيروت، دار النهضة العربية، (بدون تاريخ).

23)عاطف وصفي، **الثقافة والشخصية**، دار المعارف، مصر، 1975.

24)عبد الوهاب جعفر، **البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها**، دار المعارف، الإسكندرية، 1980.

25)علي المكاوي، **الانثروبولوجيا الاجتماعية**، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1990.

26)علي معمر عبد المومن، **البحث في العلوم الاجتماعية(الوجيز في الأساسيات والمناهج والتقنيات)**، بنغازي-ليبيا، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008.

27)عيسى الشماس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)**، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004.

28)فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي لنشواني، **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان- الأنثروبولوجيا-**، المملكة العربية السعودية، دار المريخ، 1988.

29)كلايد كلوكهون، **الإنسان في المرآة**، ترجمة: شاكر سليم، بغداد، 1964.

30)مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1986.

31)محمد إسماعيل قباري، **أسس علم الإنسان _ الأنثروبولوجيا**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1980.

32)محمد الجوهري وعلياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، القاهرة، 2008.

33)محمد السويدي، **علم الاجتماع السياسي (ميدانه وقضاياه)**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998.

34)محمد حسن غامري، **المناهج الأنثروبولوجية**، الاسكندرية، المكتب العربي الحديث- 1982.

35)محمد عباس إبراهيم وآخرون، **المدخل إلى الأنثروبولوجيا**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2008.

36)محمد عباس ابراهيم، **العولمة والثقافة**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2013.

37)محمد قطب سليم، **المجتمع والثقافة و الشخصية**، مصر ، السلطان لتشغيل الأوراق، ب – ت.

38)مروان عبد المجيد ابراهيم، **أسس البحث العلمي**، الأردن، مؤسسة الوراق، ط1، 2000.

39)مصطفى سويف، **مقدمة لعلم النفس الاجتماعي**، القاهرة، مكتبة الأنجلو، 1970.

40)مصطفى عمر، **إشكالية المنهج في الأنثروبولوجيا –** ضمن كتاب جماعي بعنوان : **قضايا العلوم الإنسانة (إشكالية المنهج)**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، دون سنة نشر.

41)مصطفى محمد حمادة ،**الأنثروبولوجيا في ثقافات الشعوب**، الازاربطة، دار المعرفة الجامعية، 2008.

42)هالة منصور، **محاضرات في علم الأنثروبولوجيا**، المكتبة الجامعة، الإسكندرية، 2000.

43)وسام العثمان، **المدخل إلى الأنثروبولوجيا**، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.

44)يحي مرسي عيد بدر، **أصول علم الانسان –الانثروبولوجيا**، الجزء الأول، ط 1 ، الإسكندرية، دار الوفاء، 2007.

ب– المجلات، الدوريات العلمية:

45)بوحسون العربي، **الاستشراق والأنثروبولوجيا والاستعمار–دراسة تحليلية لطبيعة العلاقة–**، مجلة الإنسان والمجتمع، جامعة أبوبكر بلقايد–تلمسان، الجزء الثاني . العدد 02 ديسمبر 2011.

46)رحاب مختار، **مناهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي في موضوع أسماء الأعلام**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف02، المجلد 11، العدد02، ديسمبر 2014.

47)مازن مرسول محمد، **الأنثروبولوجيا .... نحو أناسة ممنهجة**، المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، مركز فاعلون، الجزائر، العدد الأول مارس 2015.

48)مرقومة منصور، **الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة**، مجلة التدوين، جامعة محمد بن أحمد وهرن 2، الجزائر، المجلد08، العدد 01، ديسمبر 2016.

د– الرسائل الجامعية:

49)كنزة حاج حامدري، **دور التلفزيون في تشكيل بعض القيم لدى المرأة الريفية الجزائرية**، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، 2011 – 2010.

50)محمد سعيدي، **الانثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق– دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر–**، أطروحة دكتوراه في الانثروبولوجيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، 2006 -2007.

هـ– المحاضرات البيداغوجية:

51)فائزة التونسي، **محاضرات في الفرد والثقافة**، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي – الأغواط، 2020.

52)سفيان ميمون، **محاضرات في مقياس مدخل إلى الأنثروبولوجيا**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل، 2018-2019.

ثانيا/ المراجع باللغة الأجنبية:

I. Ouvrages:

53) Catherine Chabert, **Psychanalyse et méthodes projectives**, France, Dunod, 1998,
54) George Ritzer, **Sociological Theory**, New York, McGraw-Hill, Eighth Edition, 2011.

II. Dictionnaires

55) Michel panoff-et Michel Perrin, Dictionnaire de l'ethnologie, Paris, Ed. Petite bibliothèque, 1973..

ثالثا/ المراجع الإلكترونية:

56)مبروك بوطقوقة، **عرض كتاب : جزائر الأنثروبولوجيين**، الجزء 2 / 3، موقع أرنتروبوس https://cutt.us/WzjuW

57) واكد رابح، **دروس ومحاضرات مقياس فرد وثقافة**. https://cutt.us/qXtu4